

مقـدمة

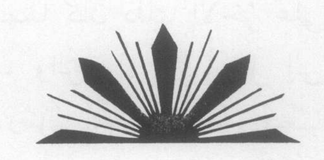
إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأشهد أن سيّدنا ونبيّنا محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، **أمّا بعد:**

فإنَّ الله سبحانَه وتعالى ما خَلَق الخَلقَ إلاّ ليعبدوه، وما أرسلَ الرّسلَ



عليهم الصّلاةُ والسّلامُ إلاّ ليعرفوه ويوحّدوهُ، وقد خلق الله تعالى الخلقَ كلَّهُم حُنفاءَ فاجتالتهُم الشّياطينُ وفرّقتْهُم بعد أن كانوا أمّةً واحدةً، فاختلفوا، فأرسلَ الله عزَّ وجلَّ الرّسلَ وأنزلَ الكتبَ وأقامَ الحُجَّةَ، ليؤمنَ من يؤمن، ويكفرَ من يكفر عن بيِّنَةٍ، ولو شاءَ سبحانَهُ وتعالى أن يجعلَ النّاسَ كُلَّهُم أمّةً واحدةً لا اختلافَ بينهم ولا تضادّ لفعل، غير أنَّ حِكمَتَهُ تعالى اقتضت غير ذلك، وكلّما خَفَتَ نورُ نبي واختفت تعاليمُهُ، أرسلَ عزَّ وجلَّ نبياً آخر لئلاّ يكون للناسِ على الله حجّةٌ بعد الرّسلِ، وبما أنَّ مصدرَ الرّسالاَتِ واحدٌ وهو الله تعالى، فيجبُ أن يكون دينُ الرُّسلِ عليهم الصّلاةُ والسّلامُ واحدٌ، وإن كانت شرائعُهُم مختلفةٌ. لهذا، كانَ الرّسولُ السّابقُ يبشّرُ باللاّحقِ، واللاَّحِقُ يؤمنُ بالسّابقِ، وأكبر الأديانِ السّماويةِ وأبقاها إلى اليوم هي: اليهوديّة والنّصرانيّة والإسلام، وبما أنّ الإسلامَ هو الخَاتَمُ لجميع الأديانِ، والمُهيمنُ عليها، والنّاسخُ لها، فقد أمرَ الله تعالى من جميعِ أهلِ الأديانِ الإيمانَ به وبما جاءَ به رسولُهُ محمّدٌ ﷺ، لأنّ المصدرَ واحدٌ، والهدفُ مشتركٌ، والغايةُ واحدةٌ، معرفةُ الله وعبادتُه دون ما سواه، وهذا الأمرُ متّفقٌ عليه بين جميعِ الدّياناتِ السّماويّةِ، غير أنّ البعضَ من أهلِ الدّياناتِ السّماويّةِ بِكلِّ أسفٍ قد حرَّفَ دينَهُ وبدَّلَهُ، فزادَ ونقَصَ، وغيّرَ وبدّلَ، وحذَفَ وأضافَ، إلاّ أنَّ تلك التّحريفاتِ لم يشأِ الله تعالى أن تَطالَ جميعَ تعاليمِ ذلك الدّين سواءٌ الدّينَ اليهوديَّ أو المسيحيَّ، فبقيت بقيّةٌ من الحقّ شاهدةٌ على الجريمةِ النّكراءِ الّتي ارتكبها القومُ في حقّ دينِهِم ورسولِهِم، ومن هنا كان لِزاماً على المُحَاوِرِ لليهودِ أو النّصارى أو لكليهما أن يلمَّ بهذه الأمورِ الّتي يتّفقُ فيها دينُنا الحنيفُ مع كتاب القومِ بعهديهِ القديم والجديدِ، كي ينطلق من أرضٍ صلبةٍ، وعلمٍ ودرايةٍ، وإيمانٍ عميقٍ بأنّ أصلَ الدّين السّماويَّ واحدٌ بدليلِ التّشابهِ الموجودِ بين الكتبِ السّماويّةِ رغمَ حرصِ القومِ من قديم على تحريفهِ وتبديله، وقد أمر الله تعالى المسلمين بالحوارِ مع اليهودِ والنّصارى للوصولِ إلى كلمةٍ سواءَ، فقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن

تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ [آل عمران: ٦٤]، وقد حاور الرّسولُ ﷺ اليهودَ والنّصارى في دينِهم، ودعاهُم إلى المُباهلَةِ فيما يقولون، وأقرّهُم عليه الصّلاةُ والسّلامُ على الحقِّ الّذي عندهم، وخالفهم فيما افترَوهُ على أنبيائِهم، لكنّه ﷺ لم يُلزمْهُم بالدّخولِ في الإسلامِ، إذْ لا إكراهَ في الدّين، واستجابةً لأمرِ الله تعالى، بدعوةِ أهلِ الكتابِ إلى كَلمةٍ سواء للعملِ فيما اتَّفقنا عليه، وتأجيلِ المُختلف عليه إلى يومِ القيامةِ إنْ لم نصل فيه إلى حلٍ حتّى يحكمَ الله بيننا وهو خير الحاكمين، ومن خلالِ السّيرةِ العَطِرَةِ لسيِّدِ الخلقِ ﷺ، كان هذا البحثُ الّذي أسميتُهُ: أَوجُهُ الاتِّفَاقِ بَيْنَنا وَبَيْنَ أَهْلِ الكِتابِ، دَعْوَةٌ لِحِوارِ الأَدْيَانِ، ندركُ من خلالِهِ مدى الاتّفاقِ الّذي بيننا وبين أهلِ الكتابِ في أُصولِ الدِّينِ وفروعِهِ، هذا الحِوارُ يهدفُ إلى الوصولِ للحقيقةِ، دون تشنّجٍ ولا هِياجٍ أو إلغاءٍ للآخرِ ولا إقصاءَ له، مهما كان الاختلافُ بيننا، بل حِوارٌ يهدفُ الجميعُ من خلالِهِ لعبادةِ الله تعالى وحدهُ كما أمرَ، وكما جاءَ على لسانِ رسلِه عليهم الصّلاةُ والسّلامُ، أو على الأقلِّ يهدفُ إلى العيشِ بسلامٍ فيما بيننا حتّى يحكمَ الله بيننا وهو خير الحاكمين.





كيف نتحاورُ مع أنفسِنا وكيف نُحاورُ الآخر

اقتضت حكمةُ الله تعالى أن تختلفَ آراءُ النّاسِ في الكبيرِ والصّغيرِ من أمورِ الدّنيا والدِّينِ، وسببُ ذلك أنّ الله تعالى خلقَهم مُختلفين في الفهم والإدراكِ والأمزجةِ والميولِ والرّغباتِ، كما يختلفون في الضّعفِ والقوّةِ والصبرِ والضّجرِ وغيرها، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٨، ١١٩]، لهذا سيبقى الصّراعُ بين الحقِّ والباطل والخيرِ والشّرِّ ما بقي اللّيلُ والنّهارُ، ونحنُ كمسلمين أصحابُ العقيدةِ الصّحيحةِ علينا واجبٌ يحتّمهُ علينا دينُنا الحنيفُ، ولا سبيلَ إلى إيصالِ الخير والحقّ إلى الآخرين إلاّ عن طريقِ الحوارِ معهم، غير أنه حِوارٌ مبنيٌ على الأسسِ الصّحيحةِ، حِوارٌ لا تعصّبَ فيه ولا تشنّجَ، ولا مصادرةَ فيه للآخرِ مهما كان ذلك الآخرُ على ضلالٍ، وقد نزل القرآن الكريم هدايةً للنّاس عامّةً، والرّسولُ ﷺ أُرسلَ إلى النّاسِ كافّةً، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: ٢٨]، وهذا يقتضي أن يكون الخطابُ الإسلاميُ موجّهاً لجميع بني آدم، المسلمَ والكافرَ على حدٍ سواء، والنّاظرُ في الكتابِ والسّنّةِ يجد أنّها قد أفردتا مساحةً عريضةً لخطاب أهل الكتاب من اليهود والنّصارى، هذا الخِطابُ غالباً ما يبدأ بِنسبتِهم إلى ما يُحبّون، ولهذا نجدُ في القرآن الكريم الكثيرَ الكثيرَ من قولِه تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ﴾، وهذه النّسبةُ تعطينا معنًى جميلاً، وهو أنّ القومَ لهم كتابٌ

أنزله الله تعالى إليهم، فيه الخيرُ والهُدى والنورُ، فهل يَسَعُنا التَّحاورَ مع أهل الكتاب؟ وما هي آليَاتُ التَّحاوُرَ بيننا وبين القوم؟ لعلّ النّاظر في آيات القرآن الكريم ولو بنظرة سريعة يجد مبتغاه بأسرع ممّا يتصوّر، ففي قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤] دعوةٌ ربّانيّة للمسلمين كي يضيّقوا مساحة الخلاف الّتي بينهم وبين أهل الكتاب من اليهود والنّصارى على كلمةٍ سواءٍ، وهي كلمة العدلِ والإنصافِ، وهذا يدلّ على أنّ هناك نقاطُ اتّفاقٍ بيننا وبين القوم لا يجوز أن تُلغى من ذهن المسلم الحصيف، لأنّها نقاطُ اتّفاقٍ يجب أن تُستغلَّ وتُجيّرَ لصالحنا، فنحن نملك الحقَّ كلَّ الحقِّ، والقومُ عندهم من الحقِّ الكثيرَ منه رغمَ التّحريفِ، فلماذا لا نتفقُ مع القوم على العملِ بالحقّ المشترك الّذي بيننا وبينهم؟ ونتفقُ أيضاً على إِنْساءِ المُختلَفِ فيه حتّى يحْكُمَ الله بيننا وهو خيرُ الحاكِمينَ، وفي الخطاب القرآنيّ الكريم كثيراً ما نقرأُ كلام الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ...﴾، ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ...﴾، ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ...﴾، هذه النّداءات ليست للتّعبّد بقراءتها فقط، بل هي للعمل بها في حوارنا معهم، وفي قوله تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [العنكبوت: ٤٦]، دعوةٌ للحِوارِ الهادئِ المُتَّزِنِ العقلانِيِّ، وفي تقييده بالّتي هي أحسن دلالةٌ على التّفرقة بينه وبين الجدل المذموم، لأنّ الجدلَ منه ما هو محمودٌ، ومنه ما هو مذمومٌ، فالمذمومُ هو: جِدالُ المرائينَ والمنتهي غالباً بالسّبابِ والمغاضبةِ والاختلافِ والمماراةِ، نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾﴾ [الحج: ٨]، أمّا الجَدلُ المحمودُ فهو الجَدلُ الّذي لا ترذيلَ فيه ولا تقبيحَ، ويُرادُ منه الوصولَ للحقيقةِ لا لمجرّدِ الانتصار للذّات بحقٍ كان أو بباطلٍ، لهذا وغيره يعتبرُ الحوارُ من أهمِّ الوسائلِ الدّعويّةِ إلى الله تعالى، فمن خلالِه يمكنُ للدّاعيةِ أن يُحقّق

فوائدَ جمّةً إذا امتلكَ أدواتِهِ وهو يُحاورُ الآخرين، كما أنّ الحوارَ نافذةٌ من نوافذِ الخيرِ والنُّورِ، شريطةَ أن يكون هذا الحِوارُ كما سبقَ حِواراً منهجياً وبعيداً عن التشنّجِ ومصادرةِ الآخر مهما كان الآخر من وجهةِ نظرِنا على باطلٍ، كما أن على المُحاورِ أن يرتقي بفكرِهِ وأسلوبِهِ حتّى يكون مقبولاً عند الآخرين، يمكن من خلالِ هذا القَبُولِ أن يؤثّر فيهم وتُصْبِحُ درجةَ احتمالِ إقناعِهم كبيرةٌ، وقضيّةُ الحوارِ قضيةٌ قديمةٌ حديثةٌ في التّراثِ الإسلاميّ، فالكلمةُ المؤمنةُ الطّيبةُ هي أداتُهُ الأولى لكسبِ الآخرينَ وإقناعِهم، وقد كان الحِوارُ ولا يزالُ وسيبقى الجزءَ المُهمَّ في فنِّ العلاقاتِ العامّةِ، كما أنّ جوَّ الحِوارِ يختلف عن جوِّ الخطيبِ والمحاضِرِ والمعلّم، ففي الحالةِ الثّانيةِ يأتي النّاسُ للخطيبِ أو المحاضَراتِ والتّعليم ليستمعوا منهم، أمّا جوّ المحاورِ فهو مختلفٌ جداً حيث يجب أن يسودهُ الهدوءُ وبرودةُ الأعصابِ، والبعدُ عن التّشنّجِ والتعصّب، ممّا يجعلُ فرصةَ الإقناعِ والاقتناع واستفادةَ كلاًّ من الآخرِ أوسعُ وأرحبُ، كما أنّ الحِوارَ يختلفُ كليّةً عن الجِدالِ، فالجِدالُ في الأغلبِ الأعمِّ يعني اللّدَدَ في الخصومةِ وما يتّصلُ بذلك، ولكن في إطارِ التّخاصمِ بالكلام، فالجدلُ والمُجادلةُ والجِدالُ كلُّ ذلك ينحو منحى الخصومةِ ولو بمعنى العِناد والتّمسّك بالرّأي والتّعصّبِ له، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقال تعالى: ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوٗا ﴿٥٦﴾﴾ [الكهف: ٥٦]، وقال تعالى: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلۡبَٰطِلِ لِيُدۡحِضُواْ بِهِ ٱلۡحَقَّ فَأَخَذۡتُهُمۡۖ فَكَيۡفَ كَانَ عِقَابِ﴾ [غافر: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾﴾ [الحج: ٨]، وهذا لا يعني أنّ الجدلَ كلَّه يأتي بهذا المعنى، ولكنّه هكذا في الأغلب الأعمّ، وإلاّ فإنّ الجدلَ قد يأتي بالمعنى المحمودِ نحو قوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿۞ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ

إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [العنكبوت: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ وَجَآءَتْهُ ٱلْبُشْرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِى قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٤﴾﴾ [هود: ٧٤].

أمّا الحِوارُ والمُحاورةُ فهي تعني مراجعةَ الكلامِ والحديث بين الطّرفينِ، فينتقلُ الكلامُ من هذا إلى ذاك بسلاسةٍ وسهولةٍ، ثمّ يعودُ الكلامُ للأوّلِ بنفسِ السّلاسةِ والسّهولةِ وهكذا، دون أن يكون بين الطّرفينِ ما يدلُّ بالضّرورةِ على وجوبِ الخصومةِ أو وجودِها، وقد دلّ القرآن الكريمُ على هذا الفرقِ بين الجدلِ والحوارِ، فالجدلُ في القرآن الكريم يُستعملُ في المواضعِ الغير مرضي عنها أو غير المُجديةِ، نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَٰنٍ مَّرِيدٍ ﴿٣﴾﴾ [الحج: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾﴾ [لقمان: ٢٠]، وهناك آياتٌ أُخرى وردت في الجدلِ المذمومِ تدلُّ كما سبق بيانُهُ على عدمِ الرّضا أو على عدم جدواه وفائدته[١].

أمّا الحوارُ والمُحاورةُ فقد وردت في القرآن الكريم بكثرةٍ، واعتنى بها القرآن الكريمُ أيّما عنايةٍ، ولا غرابةَ في ذلك، فالحوارُ هو الطّريقُ الأمثلُ للإقناعِ الّذي ينبعُ من أعماقِ صاحبِهِ، والإقناعُ هو أساسُ الإيمانِ الّذي لا يمكنُ أن يُفرضَ وإنّما ينبعُ من داخلِ الإنسانِ.

وقد قدّمَ لنا القرآنُ الكريمُ نماذجَ كثيرةً من الحِوارِ، منها ما دارَ بين الله عزّ وجلَّ وملائكتِهِ كما في موضوعِ خلقِ آدم عليه السّلامُ[٢]، ومنها ما دار بين الله تعالى وبين أنبيائِه عليهم الصّلاةُ والسّلام كإبراهيم عليه السّلامُ وطلبه أن يريه كيف يُحيي الموتى[٣]، وموسى عليه السّلامُ وطلبه أن يسمح

---

(١) انظر: أسلوب القرآن الكريم، د: عبدالحليم حنفي ص١٢.

(٢) سورة البقرة: الآيات ٣٠ ـ ٣٢.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٦٠.



له برؤيتِهِ[1]، وعيسى عليه السّلامُ حين سأله ربُّه هل سمح للنّاسِ أن يتّخذوه وأمّه إلهين من دونه[2]، ومنها الحوار في قصّةِ صاحب الجنّتينِ[3]، وقصّة قارون مع قومهِ[4]، وقصّة داود عليه السّلامُ مع الخصمينِ[5]، وقصّة نوح عليه السّلامُ[6]، وشعيبُ[7]...، كما ذكر تعالى الحوارَ الدّائر بين السّادةِ والأتباعِ الّذين أضلّوهم يوم القيامةِ[8]، بل لقد حاور الله تعالى الشّيطانَ الرّجيم بشأنِ عدم سجودهِ لآدم عليه السّلام، وذكر تعالى هذا الحوارَ في أكثرِ من سورةٍ وآيةٍ، منها قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [ص: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَٰكُمۡ ثُمَّ صَوَّرۡنَٰكُمۡ ثُمَّ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ لَمۡ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسۡجُدَ إِذۡ أَمَرۡتُكَۖ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿١٢﴾﴾ [الأعراف: ١١، ١٢]، وحواره سبحانه وتعالى لمن أنكر ربوبيّته ووجودَه، فقال تعالى: ﴿أَمۡ خُلِقُواْ مِنۡ غَيۡرِ شَيۡءٍ أَمۡ هُمُ ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمۡ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمۡ هُمُ ٱلۡمُصَيۡطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الطور: ٣٥ - ٣٨].

وإذا طالعنا السنّةَ النبويّةَ الكريمةَ نجد أنّ مساحةَ الحِوارِ فيها مع المُخالف واسعةً جداً، فقد كان ﷺ ينتهجُ هذا المنهجَ في دعوتِهِ للنّاسِ، وقد كان ﷺ يعلّم النّاس الأدب في الحوارِ وأصوله، فقد جاءه عتبةُ بن ربيعة

(١) سورة الأعراف: الآية ١٤٣.
(٢) سورة المائدة: الآية ١١٦.
(٣) سورة الكهف: الآية ١٨.
(٤) سورة القصص: الآية ٧٦.
(٥) سورة ص: الآيتان ٢١، ٢٢.
(٦) سورة الأعراف: الآية ٥٩.
(٧) سورة هود: الآية ٨٤.
(٨) سورة سبأ: الآية ٣١.

يحاوره في أن يترك دين الإسلام على أن يتكرّمَ أهل قريشٍ بتزويجه من أيِّ امرأةٍ يريدها أو يكون ملكاً عليهم، أو يجمعون له بعضَ الأموالَ لِيكونَ أكثرُهم مالاً، وكان ﷺ يستمعُ لهذه العُروضِ التّافهةِ دون مقاطعةٍ لعرضِها، ولا توبيخ لعارِضِها، وبعد أن انتهى المُفاوضُ من عروضهِ الآنفةِ الذّكر قال له النّبيُّ ﷺ: «**أفرغت يا أبا الوليد؟**»، ولم يسمّه باسمه، بل كنّاه بأحبِّ الألقاب إلى قلبه، فقال عتبةُ: نعم. فقرأَ عليه ﷺ عدّةَ آياتٍ من سورةِ فصّلت، حتى قال له عتبةُ بن ربيعة: سألتك الله والرّحم إلاّ كففت. فتوقّف عليه الصّلاةُ والسّلامُ عن القراءةِ استجابةً لطلبه، فقام عتبةُ بوجهٍ وقلبٍ غير الّذي أقبل بها، وكاد أن يدخل في الإسلام لولا جلساءُ السّوءِ الّذين حَرَفُوهُ وَحَرَمُوهُ من ذلك[1]. فالرّسولُ ﷺ أعطى المُحاورَ الفرصةَ الكاملةَ لعرضِ ما لديه بغضّ النّظَرِ عن كون المعروضِ تافهاً أو لائقاً، وبعد الانتهاءِ من العرضِ قال له ﷺ: «**انتهيت يا أبا الوليد؟**» فلربّما غَفَلَ عن شيءٍ أو نَسِيَهُ، فقد أَحْسَنَ ﷺ الاستماعَ والإنصاتَ، وأعطى مُحدِّثَهُ الفرصةَ الكاملة لعرضِ ما لديه دون أن يعجَلَ عليه أو يُقاطعه، فلمّا علمَ ﷺ بفراغ المُحاورِ من عرضِ ما لديه بدأَ يقرأُ من القرآن الكريم، وهذا قمّة الذّوقِ والأدبِ في الحوارِ مع الآخر المُخالف. وقصّةٌ أُخرى معَ المُحاربين من أهل مكّةَ يومَ أن منعوه من دخولها ومن معه لأداءِ العمرةِ، بعدها عقد ﷺ مع القوم صلحاً عُرف فيما بعد بصلح الحُديبية، فلم يأنف عليه الصّلاةُ والسّلامُ من التّفاوضِ مع مبعوثِ قريشٍ وعقدِ صلحٍ معهم على شروطِهم هم، حتّى لقد أزعجت تلك الشّروطُ بعضَ كبارِ الصّحابةِ ﷺ، فعن عكرمةَ أَنَّهُ لمّاً جاء سهيلُ بن عمرو قال النبي ﷺ: «**لقد سهل لكم من أمركم**»، فقال سهيل بن عمرو: هات اكتب بيننا وبينكم كتاباً. فدعا النبي ﷺ الكاتبَ فقال النبي ﷺ: «**بسم الله الرحمٰن الرحيم**»، قال سهيل: أما الرحمٰن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب باسمك اللّهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله

(١) انظر: البداية والنّهاية لابن كثير (٦٢/٣، ٦٣)، وسيرة ابن هشام (١٣٠/٢).

الرحمٰن الرحيم، فقال النبي ﷺ: «**اكتب باسمك اللّهم**»، ثم قال: «**هذا ما قاضى عليه محمدٌ رسولُ الله**»، فقال سهيل: والله لو كنا نعلمُ أنّكَ رسولُ الله ما صَدَدْنَاكَ عن البيتِ ولا قَاتَلناكَ، ولكن اكتب محمدَ بن عبدِاللهِ، فقال النبي ﷺ: «**واللهِ إني لرسولُ الله وإن كَذَّبتُمُوني، اكتب: محمدَ بن عبدالله...**»[1]. وقد كان من نتيجةِ هذا الحِوارِ الرّاقي منه ﷺ أن دخلَ سهيلُ بنُ عمروٍ في الإسلامِ، ثمّ تبعهُ الجميعُ يوم فتحِ مكّة المكرّمةَ.

كما أنّ من آداب الحِوارِ الامتناعُ عن الإيذاءِ والسّخريةِ بالآخرِ وتجنّب الفُحشِ من القولِ، فدينُنا الإسلاميُّ يأمر أتباعه بالقولِ الحسنِ، وينهاهم عن السّخريةِ والتّنابزِ بالألقاب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: ١١]، وقال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، وقال تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴿٥٣﴾﴾ [الإسراء: ٥٣]، وقال تعالى مخاطباً موسى وهارون عليهما الصّلاةُ والسّلام ليخاطبا فرعونَ الطّاغِيةَ: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المؤمنون: ٩٦]، وقال ﷺ: «**يسّروا ولا تُعسّروا، وبشّروا ولا تُنفّروا**»[2]، وقال ﷺ: «**ما شيءٍ أثقلُ من ميزانِ المؤمنِ يومَ القيامةِ من خُلُقٍ حَسَنٍ، وأنّ الله لَيُبْغِضَ الفَاحِشَ البَذِيءَ**»[3]، كما يجب على المسلم وهو يُناظرُ أن يفترضَ صحّة الجانبِ الآخرِ، أو يجاريه وصولاً إلى إفحامِهِ وتبكيتِهِ، قال تعالى: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا

---

(١) البخاري (٢/٩٧٤)، ومسلم (٣/١٤١١).

(٢) أخرجه البخاري (١/٣٨)، ومسلم (٣/١٣٥٨ ـ ١٣٥٩).

(٣) رواه التّرمذي (٤/٣٦٢)، وأحمد في مسنده (٢/١٦٢).

تَعۡمَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [سبأ: ٢٥]، كما يجب التّسليمُ بالمسلّماتِ، وعدم رفضِها بحجّةِ أنّها جاءت من الخصمِ أو من الطرفِ المُحاور، لأنّ الغرضَ من المُحاورةِ ليس الانتصارُ للنّفسِ، بل الانتصارُ للحقّ، والحقُّ أحقُّ أن يُتَّبعْ، قال الإمامُ الشّافعيُّ رحمه الله تعالى: ما كلّمتُ أحداً قطُّ إلاّ ولم أُبالِ بيّنَ الله الحقَّ على لساني أو على لسانِهِ[1]. وقال الغزاليُّ: يجبُ على طالب الحقِّ أن يكون كناشد الضّالّةِ، لا يفرّقُ بين أن تظهرُ على يده أو على يدِ من يعاونه[2]، كما يجب علينا أثناءَ حوارنا للآخرِ المُخالفِ أن نبدأَ حِوارنا معه بالأمورِ المتّفقِ عليها، ونتجنّب أوّل الأمرِ الأمورَ المختلف عليها، وقد عَلَّمَنا القرآنُ الكريم ذلك أثناءَ عرضه للحوارِ مع المنكرين، فها هو يبدأُ بالمسلّماتِ والبَدَهيّاتِ ليصل من خلالِها إلى تأصيل الأمر المُرادِ تأصيلُهُ، قال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [المؤمنون: ٨٤ ـ ٨٩]، ولعلّ عجلتَنا في إنهاءِ الحِوارِ، وقِلّة صبرِنا على الآخرين، واعتدادِنا الزّائِدِ بما نملكُ من قدرةٍ على الإقناعِ يجعلنا نبدأُ بنقاطِ الخلافِ، وهذا ما يجعلُنا نخسرَ الخصمَ ولا نَكْسَبُهُ، كما ينبغي لنا أن نفهم الشّخص الّذي أمامنا قبل أن نبدأَ الحِوارَ معه، ويستحسنُ أن نجعله هو من يبدأُ بعرضِ ما عنده لنرى كيف يمكن أن يعرضَ الموضوع، فندرك طبيعتَه، ونستشفَّ أُسلوبَه، ونعرفَ من خلالِ أُسلوبه هل هو ممن يحاورُ بالعقلِ أو بالعاطفةِ، أو بهما معاً، وهذا ما فَعَلَهُ ابنُ عبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أثناءَ محاورتِهِ للخوارجِ فكسب القومَ إلاّ عشرةً منهم[3]، كما علينا ونحن نستمعُ للطّرفِ

(١) انظر: مناقب الشّافعي للرّازي ص ٣٦١.
(٢) انظر: إحياء علوم الدّين للغزالي (٤٤/١).
(٣) انظر: تلبيس إبليس لابن الجوزي ص ١١٣.

الآخر أن ننصت له، ونُظهرَ قدراً من الاحترام والتّقدير، فندعه يُعبّرُ عن مكنوناتِ نفسه، فإنّ ذلك يُريحَه، فتكون مادّةُ كلامهِ للأَخْبَارِ لاَ لِلحِوَارِ[1]، كما يجبُ أن نتجنّب الغضب أثناءَ المُحاورةِ، فقد يلجأُ الطّرفُ الآخرُ لأسلوبِ الاستفزازِ من أجلِ إغضابِنا، فإن غضبنا أثناءَ الحوارِ خسرنا أوّلاً تعاطف المتابع، وخسرنا ثانياً التّركيزَ لإفحام الخصم، وعلينا أثناءَ المحاورةِ أن نتجنّبَ رفَعَ الصوتِ، فالحجّةُ الواهيةُ لَا يدعمها الصّياحُ، بل الصّياحُ يفقدُ الحجّةَ الباهرةَ لموعَهَا وسُطُوعَهَا، ولنعلم أن الضّجيجَ لا يستر العجزَ، والهدوءَ لا يُخفِي الحقَّ، وفي الأغلبِ الأعمّ تجد الحضورَ والمتابعَ عن بعدٍ يميلُ إلى الهادئ في نبرتِهِ لموضوعيّتِهِ غالباً، وإذا استطعنا أن نُحاورَ المخالفَ بهذه الرّوحِ الإسلاميّةِ أصلاً فلن يكون لدينا أيّةَ مشكلةٍ مع الآخر مهما كان الآخرُ مُتعنّتاً أو مكابراً.



(١) انظر: كيف تُحاور، دليلٌ علميٌّ للحوار لطارق الحبيب ص٢٧، ٢٨.

كيف نحاور الغرب وعلى ماذا نحاورهم

الحِوارُ مع الآخرِ مطلبٌ شرعيٌ نادى به القرآن الكريمُ منذُ نزوله، وفعله النّبيُّ ﷺ منذُ بعثتِهِ، وطبّقه السّلفُ الصّالحُ رِضوانُ الله تعالى عليهم منذُ عرفوه، فلا تثريبَ إذن من الحوارِ مع الآخرِ شريطةَ أن يكون الحِوارُ بين قوّتينِ مُتكافئتينِ، لا تُهيمنُ إحداها على الأخرى، فتُملي القوّةُ الأقوى على الأضعفِ ما تريدُ باسم الحِوارِ وهي تريدُ أن يتنازلَ الطّرفُ الآخرُ عن بعضِ مسلّماتِهِ ليقبلَ بها راغماً أو راضياً، وذلك باستعمالِ الضّغطِ الحسّيِّ أو المعنويِّ عليه، إنّ حِواراً كهذا لا يُسمّى حواراً بأيِّ شكلٍ من الأشكالِ، بل هو إملاءٌ وضغطٌ، والحِوارُ منه براءٌ، وقد أمرَ الله تعالى المسلين بحوارِ أهلِ الكتابِ فقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤]، ونحن إذْ نقبل الحوار مع الغربِ الصّليبيِّ نقبله بروحِ التّحدّي، فنحنُ من يملكُ الحضارةَ الحقّةَ الّتي توائمُ بين متطلّباتِ الحياةِ والمماتِ، وتُعطي كلَّ ذي حقٍ حقَّه، لا نقول ذلك من باب التّعصّبِ الأعمى، بل من باب الحقيقةِ الواضحةِ، نعم الغربُ اليومَ يملكُ تقدّماً مادياً لم يشهد له التّاريخُ مثيلاً، غير أنّهُ بقدرِ تقدّمهِ الماديِّ، متأخّرٌ روحياً بشكلٍ لم يشهدُ له التّاريخُ مثيلاً، فقد غاب الإلهُ في الغربِ، وأضحى المعبودُ هو المالُ والشّهرةُ، فانهارتِ الأسرُ، وتفكّك المجتمعُ، وكثرتِ الفوضى، وانتشرَ الانحلالُ، حتّى تخبّطَ الغربُ في تيهِ المادّةِ وضلالاتِها فما عادَ يعي إلى أيِّ وادٍ سحيقٍ يُقادُ، وقبل أن نستعدَّ للحوارِ مع الآخر يجبُ علينا أن نتسلّحَ بأسلحةٍ قويّةٍ حتّى نتمكّن من

مجابهةِ ومواجهةِ الفكرِ الغربيّ المعاصرِ، وأوّل ما يجبُ علينا أن نتسلّحُ به هو الإيمانُ العميقُ بدينِنا وَثَوَابِتِنَا وَأَخْلاَقِنَا الإسلاميّةِ، إذ كيف يُعقلُ أن نحاورهم ونحن غير عاضّين على ثوابتنا بالنّواجذ!!!، كما يجبُ علينا ونحن نُحاورُ الغربَ أن نعلم أنّ هذه الثّوابتَ لا تدخل تحت الحوارِ الّذي يمكنُ أن يُتنازَلُ عنهُ كُلياً أو جزئياً أو مرحلياً، يمكنُ مثلاً أن نُحاورُهم في أن تضعَ الحربُ أوزارها إلى حينٍ، أو نُحاورهم إذا تعذّرَ اللّقاءَ بيننَا في أنَّ لهم دينهم ولنا دينٌ، لكن لا يمكن أن نُحاورهم بهذه الطّريقةِ في ذاتِ الله تعالى أهو واحدٌ أم ثلاثة، ولا في رسالةِ النّبيّ ﷺ وصحتّها، ولا في الأخلاقِ الإسلاميّةِ وسلامَتِهَا وَصَلاحِيّتِهَا لكلّ زمانٍ ومكانٍ . . . ، يجبُ علينا أن نُحاورَ الغربَ في الحضارةِ الّتي يعيشونها الآنَ ومدى صلاحيّتَهَا لكلّ زمانٍ ومكان، وفي حضارتِنا الإسلاميّةِ الحقّةِ، وكيف أنّها جاءت لتشمل البشريّةِ جميعاً، المسلمَ وغيرَ المسلم على حَدٍ سَواء، نحاورهم في وُجُوبِ أن يعلموا أنّ الدّينَ الإسلاميَّ بريءٌ مما يفتريه المفترون، فديننا لا يُكْرِهُ النّاسَ على الدّخولِ فيه، ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس: ٩٩]، وقال تعالى: ﴿لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وقال تعالى: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [الكافرون: ١ ـ ٦]، نُحاورهم في أنّ حضارتَنا الإسلاميّةَ تُحاربَ الإرهابَ والتّدميرَ والقتلَ، تُحارب الفَسادَ والإفسادَ في الأرضِ، تحارب الاستعبادَ والأنانيّةَ البغيضةَ، تُحارب الاحتكارَ للأموالِ أو العلومِ والمعارف، تُحاربَ الجهلَ والتّخلُّفَ . . .لكنّها وهي تُحاربُ ذلك كلّه وغيره ممّا يمقته العقلُ السّليمُ: تُحاربُ الخنوعَ والتّبعيّةَ والذّلَّ والاستكانةِ، فلا يَعْبُدُ عبدٌ إلاّ اللهَ تعالى، تعلّم النّاسَ أنّ الإسلامَ قد جاءَ ليخرج النّاسَ من عبادةِ غير الله تعالى إلى عبادةِ الله تعالى، تعلّم النّاسَ أن لهم هدفاً من وجودهم في هذه الحياةِ، فلم يُخلقوا عبثاً، ولن يُتركوا سدى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا

وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥]، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات: ٥٦]، نحاورُهم في أنّ حَضارَتَنا الإسلاميّةَ قد جاءت بالخير للبشريّةِ جميعاً، والتّاريخُ يشهدُ بأنّ اليهودَ والنّصارى قد عاشوا ولا يزالُ بعضُهم إلى اليومِ يعيشُ بين المسلمين محفوظةً حقوقُهُم، لهم ما لنا وعليهم ما علينا ما لَم يغدروا أو يخونوا، وأنّ من اعتدى على واحدٍ منهم فإنّ الجنّة عليه حرامٌ، وقد نال أهل الكتاب من اليهودِ والنّصارى من الحقوقِ في ديارِ المسلمين ما لم يحظوا بمثله ولا قريباً منه مع أهلِ ديانتهم في غير البلادِ الإسلاميّة، نُحاورهم في الحقِّ الّذي بيننا وبينهم، نُحاورهم في الحلالِ والحرامِ المتّفقِ عليه بيننا، وندعُ الأمورَ الّتي لا يمكنُ أن نلتقي عليها حتّى يحكمَ الله بيننا وهو خير الحاكمين.





أوجه الاتفاق بيننا وبين أهلِ الكتاب

قبل الحديثِ عن تلك الأوجهِ المُتَّفَقِ عليها، على القارئ الكريم أن يعلَمَ أنِّي في هذا المبحثِ لا أُناقِشَ تلكَ الموضُوعاتِ، ولا أتطرَّقُ لمسائِلِ الخلافِ، ولكنِّي أعرِضُ المُتَّفَقِ عليه عَرضاً فقط، وعلى القارئِ الكريمِ أن يُدرِكَ من خِلالِ هذا العَرْضِ مقدارَ التَّوافُقِ فيما بيننا وبين القومِ، برغم كثْرَةِ التّحريفِ والتّبديلِ في كُتُبِ القومِ، كما أنّي لا أُعلّقَ على ذلك الاتّفاقِ إلاّ في النّزْرِ اليسيرِ، فالأمرُ أوضحُ من أن تتدخّلُ فيه أيدي الباحثِينَ بالتّعليقِ والرّدِّ.

الفصل الأوّل:
التّوحيد

نحن المسلمون نعتقد جازمين أنّ التّوراةَ والإنجيلَ قد أنزلها الله تعالى على رسله موسى وعيسى على نبيِّنا وعليهما الصّلاةُ والسّلامُ، غير أنّنا نعتقد أيضاً أنّ ما بين أيدي القومِ اليوم كتبٌ فيها الحقُّ الباقي، والباطِلُ المحرفُ، وما كان فيها من حقٍ فقد جاءَ الإسلامُ بمثله وأحسنَ منه، وأمّا الباطِلُ فيذهبُ جُفاءً، وهذه بعضُ الحقائقِ الّتي بقيت في العهد القديمِ لم تصل إليها أيدي النّسّاخ المُحرِّفين لكتابِ الله تعالى، وصدق الله إذْ يقولُ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [البقرة: ٧٩]، ومع وجودِ التّحريفِ إلاّ أنَّ الحقَّ بقي فيه بقيّةٌ، يأبى الله تعالى إلاّ أن يَظْهَرَ ولو كره المجرمون، ومن تلك الحقائقِ الّتي اتّفق فيها كتابُنا الكريمُ، أو سنّةُ نبيِّنا ﷺ مع العهد القديم ما يلي:

١ ـ توحيد الألوهية:

توحيد الألوهية هو إفرادُ الله سبحانه وتعالى بالعبادةِ، وهو أوّل دعوة الرّسلِ عليهم الصّلاةُ والسّلامُ، وأوّل منازل الطّريقِ إلى الله تعالى، لم يرسل اللهُ تعالى رسولاً من نوحٍ إلى محمّدٍ صلوات ربي وسلامُهُ عليهم أجمعين، إلاّ كانت دعوتهم إلى التّوحيد أوّل ما يقومون به، قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأعراف: ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال ﷺ: «**أمرت أن أقاتل النّاس حتّى يشهدوا أنْ لا إله إلاّ الله وأنَّ محمَّداً رسولُ الله**»(١).

وهذا الّذي جاءَ به محمّدٌ ﷺ، جاءَ به جميعُ الرّسلِ عليهم الصّلاةُ والسّلامُ بما فيهم بالطّبعِ موسى بن عمران عليه الصّلاةُ والسّلام، فقد جاءَ في العهد القديم: (وقالَ الرَّبُّ ملكُ إسرائيلَ، فاديهِ وربُّ القديرُ: أنا الأوَّلُ وأنا الآخرُ، ولا إلهَ في الكونِ غيري، من مثلي؟ فَليُعلن هذا، وليتقدّمْ بهِ ويعرِضُهُ لي)(٢)، وفيها أيضاً: (أنا الرّبُّ ولا آخرَ، وسِواي لا يوجدُ إلهٌ. . . ليعلمَ البشرُ من مشرقِ الشّمسِ إلى مغربِها أنْ لا إلهَ غيري، أنا الرّبُّ ولا آخرُ، أنا مُبدعُ النّورِ، وخالِقُ الظّلْمةِ، وصانِعُ الهناءِ، وخالقُ الشّقاءِ، أنا الرّبُّ صانعُ هذا كلِّه. . .اللهُ معكَ ولا آخرُ، من إلهٌ سِواهُ)(٣).

٢ ـ توحيد الرّبوبيّةِ:

توحيدُ الرُّبوبيّةِ هو إفرادُ الله تعالى بأفعاله، فهو الخالقُ المالكُ المُدبِّرُ

(١) أخرجه البخاري (٧٤/١)، ومسلم (٥١/١).
(٢) الكتاب المقدّس العهد القديم: الأنبياء، سفر أشعياء (٦ ـ ٨) ص ٩٠٥.
(٣) المرجع السّابق (٤ ـ ١٤) ص ٩٠٧.

لهذا الكونِ، فالله سبحانَه وتعالى هو الخالقُ لكلِّ شيءٍ، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [الأنعام: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: ٦٠ ـ ٦٤].

وهذا التّوحيدُ يُقرّرُه العهد القديمُ أيضاً، فقد جاء فيه: (... لذلك يقولُ القدّوسُ: بمن تُشبّهوني وتُعادِلوني؟ ارفعُوا عيونَكم وانظروا! من خلق السّماواتِ هذه؟ ومن يَعُدُّ نجومَها واحدةً واحدةً ويدعوها جميعاً بأسمائها؟ ولفائقِ قدرتِهِ وجبروتِهِ لا يُفقَدُ منها أحدٌ... أما علمتَ أنّ الرّبَّ إلهٌ سرمديٌّ خلقَ الأرضَ بكامِلها، لا يتعبُ ولا يكلّ أبداً... خلق السّماواتِ وناشِرُها باسطُ الأرضِ مع خيراتِها وواهبُ شعبِها نسمةَ الحياةِ روحاً للسّائرين فيها)[1]، وفي مكانٍ آخر جاء في التّوراةِ: (الرّبُّ صنعَ الأرضَ بقوّتِهِ، بحكمتِهِ ثبّت الكونَ، وبسطَ السماواتِ بفطنتِهِ، بصوتِهِ يجمعُ مياهاً في السّماءِ، ويُصعِدُ السّحابَ من أقصى الأرضِ، يُحدِثُ البروقَ للمطرِ، ويُخرجُ الرّيحَ من خزائنِهِ...)[2].

---

(١) الكتاب المقدّس العهد القديم: الأنبياء، سفر أشعياء (٢٥ ـ ٢٩) ص ٨٩٨ ـ ٩٠١.
(٢) المرجع السّابق: نشيد الحمد من سِفر أرمياء (١٥ ـ ١٧) ص١٠١٧.

٣ ـ توحيدُ الأسماءِ والصّفاتِ:

توحيدُ الأسماءِ والصّفاتِ هو: إثباتُ أسماءِ الله تعالى الواردة له في الكتابِ والسنّةِ دون تعطيلٍ ولا تشبيهٍ ولا تكييفٍ ولا تمثيل، فهو سبحانه وتعالى الكاملُ في كُلِّ شيءٍ، له الأسماءُ الحُسنى والصّفاتُ العُلَى، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: ٣]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢ ـ ٢٤]، وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، والنّصوصُ في ذلك كثيرةٌ من الكتابِ والسنةِ، وهذا بعينِهِ ما ورد في التّوراةِ، حيث جاءَ فيها إثباتُ الكثيرِ من أسمائِهِ جلَّ وعلا، ككونِهِ الأولُ والآخرُ، وإثباتُ اليمينِ لله تعالى والكلام بصوتٍ، والقُوَّةِ والعلم، ونفي الظُّلم عنه تعالى والمِثلِ والشَّبيهِ، وغير ذلك، فمن ذلك: (أنا الرَّبُّ، أنا الأوّلُ والآخرُ ...وبيميني الصّادقةِ سندتُكَ)[1]، وفي موقع آخر: (أنا اللهُ وليسَ له إلهٌ آخر، أنا اللهُ ولا إلهَ مثلِي، من البدايةِ أنبأتُ بالنّهايةِ، ومن القديم بما سيحدثُ...وأنا أفعلُ ما أشاءُ)[2]، وفيها أيضاً: (اسمع لي يا يعقوبُ، يا إسرائيلُ الّذي دعوتُهُ، أنا هو، أنا الأوّلُ والآخرُ، ويَدَيَّ أسَّستِ الأرضَ، يميني قاستِ السّماواتِ أدعوهُنَّ فيقفن جميعاً...)[3]، وأيضاً: (الرّبُّ صنعَ الأرضَ بقوَّتِهِ، بحكمتِهِ ثبَّت الكونَ،

(١) الكتاب المقدّس العهد القديم: الأنبياء، سفر أشعياء (٤ ـ ١١) ص ٨٩٩ ـ ٩٠٠
(٢) المرجع السّابق: سِفر أشعياء (٩ ـ ١١) ص ٩٠٨ ـ ٩٠٩.
(٣) المرجع السّابق: سِفر أشعياء (١٢ ـ ١٤) ص ٩١١.



وبسطَ السماواتِ بفطنتِهِ، بصوتِهِ يجمعُ مياهاً في السّماءِ)[1].

٤ ـ استحالة رؤيةَ الله تعالى في هذه الدّنيا:

وهذا ما يقرّره الدّينُ الإسلاميُّ الحنيفُ، وهو: أنّ الله تعالى لا يمكن أو يراهُ أحدٌ في هذه الدّنيا، ويقرّرُ القرآن الكريمُ أنّ سيدّنا موسى على نبيّنا وعليه الصّلاةُ والسّلامُ قد طلب رؤيةَ الله تعالى في هذه الدّنيا فأخبره تعالى أنه لا يستطيعُ رؤيته في هذه الدُّنيا، فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وفي العهد القديم مثلُ هذا أيضاً، ففيها جاء: (فقال موسى: أرني مجدك، فقال الرّبُّ سأعرضُ كلَّ جلالي أمامكَ وأُنادي باسمي أنا الرَّبُّ على مسمَعِكَ، وأتحنَّنُ على من أتحنَّنُ، وأرحمُ من أرحمُ، وقال: أمّا وجهي فلا تقدِرُ أن تراهُ، لأنّ الّذي يراني لا يَعيشُ)[2].

٥ ـ الدّعوة إلى التّوحيدِ والابتعاد عن الشّرك:

والدّعوةُ إلى توحيد الله تعالى والابتعادِ عن الشّركِ هي السّببُ الّتي من أجلها أرسل الله تعالى الرّسل وأنزل الكتب، وفرضَ الفرائضَ وحدَّ الحدودَ، فما عُبِد الله تعالى بأفضل من التّوحيدِ، وهذا الأمر متّفقٌ عليه بين الرّسل عليهم الصّلاةُ والسّلامُ، وقد جاء في العهدِ القديم ما يؤيّدُ هذا ويتّفق مع ديننا الحنيف، ففيه: (وتكلّمَ الرّبُّ فقال: أنا الرّبُّ إلهُكَ الّذي أخرجَكَ من أرضِ مصر، من دار العبوديّةِ، لا يكن لك آلهةٌ سِواي، لا تصنعْ لك تِمثالاً منحوتاً ولا صورةَ شيءٍ ممّا في السّماءِ من فوقُ، ولا ممّا في الأرضِ، ولا ممّا في المياهِ تحت الأرضِ، لا تسجدْ لها ولا تعبدْها، لأنّي أنا الرّبُّ إلهُكَ

(١) المرجع السّابق: نشيد الحمد من سِفر أرمياء (١٥ ـ ١٧) ص١٠١٧.
(٢) الكتابُ المقدّسُ: الرّبُّ مع شعبه، سفر الخروج (١٨ ـ ٢٠) ص ١١٢.

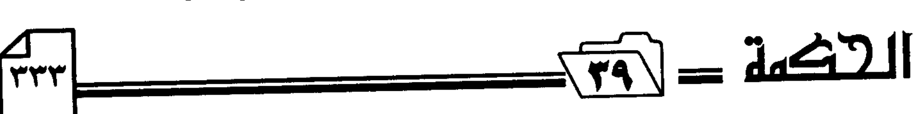
إلهٌ غيورٌ... شاهدتم أنّي من السّماءِ خاطبتُكُم، لا تصنعوا لكم آلهةً من فضّةٍ أو ذهبٍ لتعبدوها مع عبادتِكم لي)[1]، وفي مكانٍ آخر جاء: (لا تصنعوا لكم أوثاناً ولا تماثيلَ منحوتةً، ولا تُقيموا نُصُباً ولا أحجاراً مُزخرفةً في أرضِكم لتسجدوا لها، لأنّي أنا الرّبُّ إلهكم)[2]، والنصوصُ في العهد القديم بهذا المعنى تُعدُّ بالمئاتِ وليس الغرضُ هنا استيفاؤها، وفيما نقل كَفاةٌ.

٦ ـ خلق أُمّنا حوّاءَ من ضِلعِ أبينا آدم عليه السّلامُ:

لقد أنبأنا الله تعالى، وأنبأنا رسوله ﷺ أنّ آدمَ قد خُلق من ترابٍ، وأنّ حوّاءَ قد خلقها الله تعالى من ضلعٍ من أضلاعهِ، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]، وقال عليه الصّلاةُ والسّلامُ: «**استوصوا بالنّساءِ خيراً، فإنّهنّ خُلقن من ضلعٍ أعوج**»[3]، وفي كتب التّاريخ أيضاً تفصيلٌ لهذا الخلق، فقد ورد عن ابنَ عباس رضي الله عنهما أنّه وغيره قالا في قصّةِ خلقِ الله تعالى لحواءَ من أبينا آدم عليه السّلامُ: ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه من شقه الأيسر، وَلأَمَ مكانها لحماً، وآدمُ عليه السلام نائمٌ لم يهب من نومته حتى خلق الله تعالى من ضلعه تلك زوجَه حواءَ، فسواها امرأةً ليسكن إليها، فلما كشف عنه السِّنَةَ وَهَبَّ من نومته رآها إلى جنبه فقال فيما يزعمون والله أعلم: لحمي ودمي وزوجتي، فسكن إليها، فلما زوجه الله عز وجل وجعل له سكناً من نفسه قال له قُبُلاً: ﴿يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [البقرة: ٣٥][4].

---

(١) المرجع السّابق: الوصايا العشر من سفر الخروج (١ ـ ٢٤) ص ٩٢ ـ ٩٤.
(٢) المرجع السّابق: الوصايا العشر من سفر اللّاوين، جزاءُ الطّاعةِ: (١ ـ ٢) ص ١٥٧.
(٣) أخرجه البخاري (١٢١٢/٣)، ومسلم (١٠٩٠/٢).
(٤) انظر: تاريخ ابن جرير الطّبريّ (٧٠/١)، والبداية والنّهايةِ لابن كثير (٧٤/١).





وهذا ما جاء في العهدِ القديمِ أيضاً من أنّ الله تعالى قد خلق حواءَ من ضلع من أضلاع آدم عليه السّلام، ففي سفر التّكوين قولهم: (...فأوقع الرّبُّ الإِلهُ آدم في نوم عميق، وفيما هو نائمٌ أخذ إحدى أضلاعِهِ وسدَّ مكانَها بلحم، وبنى الرّبُّ الإلهُ امرأةً من الضِّلعِ الّتي أخذها من آدم، فجاءَ بها إلى آدمَ، فقال آدمُ: وهذه الآنَ عظمٌ من عِظامي، ولحمٌ من لحمي، هذه تُسمّى امرأةً، فهي من أمري أُخذت...)[1].

الفصل الثّاني:
الأحكامُ الشّرعيّةُ

ورد في التّوراةِ عدّةُ أحكام شرعيّةٍ تدلُّ على أنّها من عند الله تعالى، وأنّ يد النُّسّاخِ المُحرفين لم تصلْ إليها كلّها، وأنّ هناكَ كثيراً من التّوراةِ لم تتبدّل ولم تتغيّر رغم الحرص على ذلك من قبل القومِ، ومن تلك الأحكامِ ما يلي:

١ ـ الوصايا العشر:

وردَ في القرآن الكريم عدّةُ وصايا متتاليةٌ فيها الأمرُ بالتّوحيدِ والنّهي عن الشّركِ، وتنهى عن الظّلم والزّنى والفواحشِ ما ظهرَ منها وما بَطَنَ، وعن أكلِ أموالِ اليتامى بالباطِلِ وشهادةِ الزّورِ، وغير ذلك من الوصايا الحسنةِ، ثمّ عقّب سبحانَه وتعالى بعدها بأنّه قد أعطى رسولَهُ موسى عليه الصّلاةُ والسّلامُ الكتابَ ليبيّنَ للنّاسِ أن المصدرَ واحدٌ، فقال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ

(١) الكتاب المقدّس، سفر التكوين (٢٢ ـ ٢٣) ص١٤٥.

حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ثُمَّ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ تَمَامًا عَلَى ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [الأنعام: ١٥١ ـ ١٥٤]، وقريباً من هذه الوصايا وردت في العهد القديم، ففيها جاء: (وتكلَّمَ الرَّبُّ فقالَ: أنا الرَّبُّ إلهُكَ الّذي أخرَجَكَ من أرضِ مصرَ، من دارِ العبوديّةِ، لا يكن لكَ آلِهةٌ سِواي، لا تَصنعْ تِمثالاً منحوتاً ولا صُورةَ شيءٍ مِمَّا في السَّماءِ مِن فوقُ، ولا مِمَّا في الأرضِ من تحتُ، ولا مِمَّا في المياهِ من تحت الأرضِ، لا تَسجُد لها ولا تَعبُدها، لأنّي أنا الرَّبُّ غَيورٌ أُعاقِبُ ذنوبَ الآباءِ في الأبناءِ إلى الجيلِ الثّالثِ والرّابعِ مِمَّنْ يُبْغِضُونَني، وأرحَمُ إلى أُلوفِ الأجيالِ مَن يُحبّونَني ويَعمَلُونَ بوصايايَ، لا تَحلِف باسم الرَّبِّ إلهكَ باطِلاً، لأنَّ الرَّبَّ لا يُبرِّرُ من يَحلِفُ باسْمِهِ باطِلاً... أكرِمْ أباكَ وأُمَّكَ لِيَطولَ عُمرُكَ في الأرضِ الّتي يُعطيكَ الرَّبُّ إلهُكَ، لا تَقتُلْ، لا تَزْنِ، لا تَسْرِقْ، لا تَشهدْ على غيرِكَ شَهادَةَ زُورٍ، لا تشْتَهِ بيتَ غيرِكَ، لا تَشْتَهِ امرأةَ غيرِكَ ولا عَبْدَهُ ولا جارِيَتَهُ ولا ثَورَهُ ولا حِمارَهُ ولا شَيئاً مِمَّا لَهُ...)[1].

هذه الوصايا الواردةُ في العهد القديم تُعطينا دليلاً أكيداً على أنَّ التوراةَ من عند الله تعالى، وأنّها ليست كُلّها مُحرّفةً، بل فيها بعضُ الحقِّ الّذي لم تصلْ إليه يدُ النُّسّاخِ المُحرِّفين، وحينما قالت التّوراةُ: إن من يكرم أباه وأمَّه يطولُ عمرُه، فهذا دليلٌ أيضاً آخرُ على صحّةِ هذا النّصِ، فقد جاءَ مثلُهُ في السّنّةِ المُطهّرَةِ عنه ﷺ، فقال ﷺ: «**لا يردُّ القدَرَ إلاّ الدُّعاءُ، ولا يزيدُ في**

(١) الكتابُ المُقدّس، العهد القديم، سفر الخروج: الوصايا العشر (١ ـ ١٧) ص ٩٢ ـ ٩٣.



العُمرِ إلاّ البرُّ»(١).

٢ ـ القِصاصُ من القاتِلِ عمداً:

القاتِلُ عمداً يُقتلُ إلاّ أن يعفو أهلُ الدَّم، هذا هو شرعُنا الحنيفُ، وهذا أيضاً ما وردَ في العهدِ القديم ولو غيّر القَومُ تعاليمَهُ، وزعموا أنّ في قتل القاتلِ إرهاباً وتطرّفاً، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [البقرة: ١٧٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾﴾ [الإسراء: ٣٣]، وعن العهد القديم قال تعالى: إنّه قد شرع لهم فيها القِصاص، فقال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ ۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُۥ ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [المائدة: ٤٥]، وفي العهد القديم جاءَ: (من ضربَ إنساناً فمات، فليقتل قتلاً، فإنْ قتله عن غير عمدٍ، وإنّما اللهُ أوقعه في يده، فسأعيّنُ له موضِعاً يهربُ إليه، وإذا غَدَرَ أحدٌ بآخر وقتَلَه عمداً، فمن عند مذبحي إذا هرب إليه يؤخذُ ليقتلَ، ومن ضرب أباهُ أو أمّهُ فليقتلْ قتلاً. . .)(٢)، وفيه أيضاً: (. . . من سفكَ دمَ الإنسانِ، يسفِكُ الإنسانُ دمه . . .)(٣)، وفيها أيضاً: (من قتلَ إنساناً يُقتلْ قتلاً، ومن قتل بهيمةً يُعوِّضْ مِثلَها رأساً بدل رأس، ومن أضرَّ بآخر، يُفعلْ بِهِ كما فعلَ، الكسرُ بالكسرِ،

---

(١) رواه أحمد في المسند (٥/٢٧٧)، وابن حِبان في صحيحه (٣/١٥٣)، والحاكم في المستدرك (١/٦٧٠) وقال: صحيح الإسنادِ ولم يخرجاه، وأورد نحوه أبو نعيم في الحلية (٦/١٤٥).

(٢) الكتاب المقدّس: في القتل والضّرب، سفر الخروج: (١٢ ـ ١٥) ص ٩٤.

(٣) المرجع السّابق: نظام جديد للعالم، سفر التّكوين: (٦ ـ ٧) ص ١٠.

والعينُ بالعينِ، والسنُّ بالسنِّ، كالضّررِ يُنزِلهُ الإنسانُ بالإنسانِ، يُنزلُ به مثلُهُ.. حكمٌ واحدٌ يكونُ لكم جميعاً، للدّخيلِ كما للأصيلِ، أنا الرّبُّ إلهكُم)[1].

٣ ـ تحريم الرّشوة:

الرّشوةُ داءٌ خطيرٌ يحلُّ الحرامَ ويحرّمُ الحلالَ، وبها تُسفكُ الدّماءُ وتنتهكُ الأعراضُ، وتضيعُ الحقوقُ، لهذا حرّمها الله تعالى في كتبهِ السّماويّةِ جميعاً، ففي ديننا الحنيف تحريمٌ واضحٌ وصريحٌ للرّشوةِ، فقد لعنَ الرّسُول ﷺ الرّاشي والمرتشي والسّاعي بينهُما[2]، وفي التّوراة ما يدلُّ على تحريمِ الرّشوةِ أيضاً، ففيها أيضاً قولهم: (لا تأخذْ رَشوةً، فالرّشوةُ تُعمي أبصارَ القُضاةِ، وتُكذّبُ أقوالَ الصّادقين)[3].

٤ ـ تحريمُ الشّحومِ عليهم:

كما جاء في قرآننا الكريم أنّ الله تعالى قد حرّم على بني إسرائيل شحومَ الحيواناتِ عقوبةً لهم على ما فعلوه، فقال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام: ١٤٦]، وهذا ما جاءَ في العهد القديم أيضاً، ففيه جاء: (وكلّمَ الرّبُّ موسى فقال: كُلُّ شحمٍ من بقرٍ أو ضأنٍ أو مَعزٍ لا تأكلوه... من أكلَ شَحماً من البهيمةِ الّتي يُقرَّبُ منها وقيدةً للرّبِّ أَقطعُهُ من شعبِهِ)[4].

---

(١) المرجع السّابق: مثل على العقاب العادل، سفر اللاّوين: (١٧ ـ ٢٢) ص ١٥٤.
(٢) أخرجه التّرمذيّ بسندٍ صحيح (٦٢٣/٣)، وابن ماجه (٧٧٥/٢)، وأحمد في مسنده (٢١٢/٢).
(٣) الكتاب المقدّس: العدل ومُعاملة العدوّ، سفر الخروج: (٨ ـ ٩) ص ٩٧، وسفر التّثنية (١٩ ـ ٢٠) ص ٢٣٥.
(٤) الكتاب المقدّس: شريعةُ ذبيحة السّلامةِ، سفر اللاّوين: (٢٢ ـ ٢٥) ص ١٣٠.

٥ ـ تحريمُ لحم الخنزير:

كما أنّ الخنزيرَ حرامٌ أيضاً في شريعتِنا وجميع الشّرائِع السّماويّةِ الأخرى، ففي شريعتنا جاءَ تحريمُ الخنزير في أكثرِ من آيةٍ كريمةٍ، فقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِى مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأنعام: ١٤٥، البقرة: ١٧٣، المائدة: ٣، النحل: ١١٥]، وفي التّوراةِ تحريمٌ واضحٌ وصريحٌ أيضاً لهذا الحيوانِ النّجسِ، ففيها جاء: (وقال الرَّبُّ: أولئكَ الّذين يُقدّسونَ نفوسَهم ويُطهِّرونَها من جنائنِ الأوثانِ، ويسجدونَ وراءَ واحدٍ في الوسطِ، ويأكلون لحمَ الخنزيرِ الرِّجسِ والجُرْذِ، يَفنَونَ جميعاً)[١].

٦ ـ تحريمُ الزّنا:

كما حرّم الله تعالى الزّنا في كتبهِ السّماويّةِ جميعاً، ولم تأتِ شريعةٌ من شرائِع الله تعالى بتحليلهِ واستباحتِهِ ولا يمكن تصوّر ذلك، ففي القرآن الكريم نهيٌ عن الاقترابِ منه فضلاً عن فعله، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾﴾ [الإسراء: ٣٢]، وقال تعالى في الزّناةِ الغير محصنين: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ [النور: ٢]، وقد رجم ﷺ امرأةً ثيّباً زنت، رجَمَها بالحجارةِ حتّى ماتت[٢]، وقال ﷺ: «**خُذوُا عنّي خُذوُا عنّي، قَد جَعَلَ الله لهنَّ سَبيلاً، الثَّيبُ بالثَّيبِ جَلدُ مائة وَرَميٌ بالحِجَارةِ، والبِكرُ بالبِكرِ، جَلدُ مائة ونفيُ سنة**»[٣]، وعن أبي هريرة ﷺ قال: جاء ماعزُ الأسلميّ إلى رسولِ الله ﷺ فقال: إنَّهُ قد زنى، فَأَعرضَ عنه، ثم جاءَ من شِقّه الآخر فقال: يا رسول الله إنَّهُ قد زَنى،

(١) العهد القديمُ من الكتاب المقدّس، سفر أشعياء (١٧ ـ ١٨) ص٩٣٣. وانظر: نفس المرجع ص ٩٣١، سفر اللاّوين ص ١٣٤.
(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه (١٣١٧/٣).
(٣) أخرجه أبو داود (٥٤٩/٢).

فَأَعرضَ عنه، ثمَّ جاءَ من شِقّهُ الآخرِ فقال: يا رسولَ الله إنَّه قد زنى، فَأَمَر به في الرابعةِ، فَأُخرِجَ إلى الحرَّةِ فَرُجِمَ بالحجَارةِ، فَلمَّا وَجَدَ مَسَّ الحِجَارَةِ فَرَّ يَشْتَدُّ حتى مَرَّ برجُلٍ مَعَهُ لِحيُ جَمَلٍ فَضَرَبَهُ بِهِ وَضَرَبهُ النَّاسُ حتى مَاتَ، فَذَكَرُوا ذلك لرسُولِ الله ﷺ أَنَّهُ فَرَّ حِينَ وَجَدَ مَسَّ الحجَارَةِ وَمَسَّ الموتِ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: **«هَلَّا تَرَكتُمُوهُ»**[١]. وفي سننِ أبي داود أيضاً: أن امرأةً تحملُ صبياً فثارَ النَّاسُ، وثرتُ فيمن ثارَ، وانتهيتُ إلى النَّبيِّ ﷺ وهو يقولُ: **«من أبو هذا مَعَكِ؟»** فَسَكَتَت، فقالَ شابٌ: خذوها، أنا أبوهُ يا رسول الله، فأقبلَ عليها فقالَ: **«من أبو هذا معك؟»** فقالَ الفَتى: أنا أبوهُ يا رسول الله، فَنظَرَ رسول الله ﷺ إلى بعضٍ من حولَهُ يسألهم عنه فقالوا: ما علمنا إلاّ خَيراً. فقال له النبي ﷺ: **«أحصنت؟»** قال: نعم، فَأَمَرَ به فَرُجِم، قالَ: فخرجنا به فَحَفرنا لهُ حتى أمكنا ثم رميناه بالحِجَارَةِ حتى هَدأَ، فجاء رجلٌ يسألُ عن المرجُومِ، فانطلقنا به إلى النبي ﷺ فقلنا: هذا جاءَ يَسأَلُ عن الخبيثِ، فقالَ رسولُ الله ﷺ: **«لهو أطيب عند الله من ريح المسك»**[٢]، وهذا لأنّ الرّجلَ تاب من الزّنى وقدّمَ نفسه للموتِ تطهيراً لنفسِهِ، لا أنّه عند الله تعالى أطيب من ريحِ المسكِ لأنّه زنى والعياذُ بالله، وهذا ما جاءَ في العهد القديم، ففيها أنّ الرّجلَ إذا تزوّج من امرأةٍ على أنّها بِكراً فوجدها ثيّباً فترجم: (... أمّا إذا كان الأمرُ صحيحاً ولم تكن الفتاةُ بِكراً، يُخرِجُ شيوخُ المدينةِ الفتاةَ إلى بابِ بيتِ أبيها، وهناكَ يَرجُمُها جميعُ أهلِ مدينَتِها بالحجارةِ حتّى تموتَ، لأنّها ارتكَبَت حَماقةً في بني إسرائيل بفجورِها في بيتِ أبيها ... وإنْ وُجِدَ رجلٌ يُضاجعُ امرأةً لها زوجٌ، فكِلاهما الرّجلِ المُضاجِعِ والمرأةِ يُقتلانِ، هكذا تُزيلون الشَّرَّ من بني إسرائيل)[٣].

---

(١) أخرجه الترمذيّ (٣٦/٤)، وابن ماجه (٨٥٤/٢)، وأحمد في مسنده (٤٥٠/٢).

(٢) أخرجه أبو داود (٥٥٤/٢)، وحسّنه الألباني، والنسائي (٦٢/٤).

(٣) العهد القديمُ من الكتاب المقدّس، سفر التثنية (١٣ ـ ٢٩) ص١٤٢ ـ ١٤٣، وانظر: سفر الأمثال، تحذير من الزّنى (٢٣ ـ ٢٨) ص٧٩٤، ٧٩٥.

٧ ـ حكم الأَمَةِ الزَّانيةِ:

الأمة: هي المملوكةُ الّتي لم تُحرّر بعد، وفي ديننا الحنيف أنّ الأمةَ إذا زنت لا تُقتل، بل عليها نصف ما على الحرَّةِ من العذابِ، فقال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَٰنِكُم ۚ بَعْضُكُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ فَٱنكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَءَاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ۚ فَإِذَآ أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ ٱلْعَنَتَ مِنكُمْ ۚ وَأَن تَصْبِرُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٥﴾﴾ [النساء: ٢٥]، وهذا الحكمُ أيضاً في العهد القديم، فالمملوكة إذا زنت لا تُقتل، بل تُعاقبُ عقاباً دون الموتِ، هذا حكمُ الله الّذي أنزله على خلقه، وقد جاءَ في العهد القديم: (وإذا ضاجعَ رجلٌ جاريةً مخطوبةً لآخرَ، وهي غيرُ مُحرَّرَةٍ بفديةٍ ولا معتوقةٍ، فيؤدّبانِ، ولا يُقتلانِ لأنّها لم تُعتق...)(١).

٨ ـ تحريمُ اللّواط:

كذلك حرّمَ الله تعالى اللّواطَ في جميع شرائِعِه، ففي شريعتنا السّمحةِ تحريمٌ لها بنصِّ القرآن الكريم، والحديثِ الشّريفِ، قال تعالى على لسانِ نبيّه لوطاً عليه السّلام مُخاطباً قومَه: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الشعراء: ١٦٥ ـ ١٦٦]، وقال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾﴾ [الأعراف: ٨٠ ـ ٨١]، وقال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ

---

(١) الكتاب المقدّس، العهد القديم، سفر اللاّوين (٢٠ ـ ٢٢) ص ١٤٧.

مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾﴾ [النمل: ٥٤ ـ ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [العنكبوت: ٢٨ ـ ٢٩]، والأحاديثُ في ذلك كثيرة، منها قوله ﷺ: «**من وجدتموه يعمل عمل قوم لوطٍ فاقتلوا الفاعل والمفعول فيه**»[(١)]، وفي العهد القديم أيضاً ما يدلُّ على تحريم اللّواط أيضاً، ففيها جاء: (لا تُضاجِع الذّكرَ مُضاجعةَ النّساءِ، فذلك مَعيبٌ)[(٢)]، وفيها أيضاً: (وإن ضاجع أحدٌ ذكراً مُضاجعةِ النّساءِ فكِلاهُما فَعَلا أمراً مَعيباً فليُقتلا ودَمُهما على رأسيهِما...)[(٣)].

٩ ـ تحريمُ الرِّبا:

الرِّبا داءٌ خطير، يقومُ على نهبِ الأموالِ، وتفقير النّاسِ، وأكلِ أموالِهم بغير حقٍ، لهذا جاءت الشّرائعُ السّماويّةُ بتحريمِهِ، ففي القرآن الكريم نصوصٌ تحرّمُ الرِّبا وتجعله من أكبر الكبائرِ، وتوّلى الله تعالى حرب من يتعامل به، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾﴾ [البقرة: ٢٧٥، ٢٧٦]، وقال تعالى:

---

(١) أخرجه أبو داود (٥٦٤/٢)، والتّرمذي (٥٧/٤)، وأحمد (٣٠٠/١)، وابن ماجه (٨٥٦/٢).

(٢) العهد القديمُ من الكتاب المقدّس، سفر اللاّوين (٢٢ ـ ٢٤) ص٣ ـ ٤.

(٣) المرجع السّابق (١٣ ـ ١٤) ص١٤٨، وانظر: سِفر التّثنيةَ ص٢٣٧، وسِفر القضاة ص٣٢٠.



﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾ [البقرة: ٢٧٨]، ونبّه تعالى أنّه قد حرّم الرّبا على بني إسرائيل، فقال تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦١﴾﴾ [النساء: ١٦١]، وهذا ما جاءَ في توراةِ القومِ أيضاً، إلاّ أنّ العهدَ القديمَ قد قصرَ تحريمَ أخذِ الرّبا من الإسرائيليّ، وهذا ما نعتقدُ أنّه محرّفٌ، إذ يستحيلُ أن يبيح الله تعالى التّعاملَ بالرّبا مع أيِّ شخصٍ آخر من نفسِ الدّينِ أو من غيره، ففيها جاء: (إذا افتقرَ إسرائيليٌّ عندكَ وقَصُرت يدُهُ عن العيشِ، فأعنهُ وليَعِشْ معَكَ كغريبٍ ومُقيم، لا تأخذ منه رباً ولا رِبحاً، بل اتّقِ إلهَكَ فيعيشُ، لا تُقرضُهُ مالكَ بِرِباً ولا تُطعِمه بربِحٍ...)[1]، وفيها أيضاً: (لا تُقرِضوا إخوانكم من بني قومِكم برِبىً يدفعونَه إليكم فِضَّةً أو طعاماً أو أيَّ شيءٍ آخرَ...)[2].

١٠ ـ تحريمُ السّحر:

والسّحرُ من الأعمالِ المحرّمةِ في جميعِ الأديانِ السّماويّةِ، وقد نصَّ القرآن الكريمُ على تحريم السِّحرِ وكفرِ السّاحر، وأمر ﷺ بقتل السّحرةِ، فقال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾ [البقرة: ١٠٢]، وقال ﷺ: «**حدّ السّاحرِ ضربةٌ بالسّيف**»[3]، وكتب

(١) الكتاب المُقدّس، سفر اللاّوين من العهدِ القديم، معاملة الفقير والعبد (٣٥ ـ ٣٨) ص ١٥٦.

(٢) المرجع السّابق، أحكامٌ متفرّقة (٢٠ ـ ٢١) ص٢٤٣، وانظر: ص٥٩٠.

(٣) أخرجه التّرمذي (٤/٦٠).

عمر بن الخطّاب ﷺ قبل موتِهِ بسنةٍ كتاباً لجزءِ بن معاويةِ عمّ الأحنفِ بن قيس: (اقتلوا كلَّ ساحرٍ، وفرِّقوا بين كلِّ ذي محرَم من المجوسِ)[1]، وفي العهد القديم أيضاً تحريمُ السّحرِ والحكم عليه بالقتلِ، ففيه جاءَ: (لا يجوزُ لساحِرَةٍ أنْ تحيا)[2]، وفيه أيضاً: (لا تَلتفِتوا إلى السَّحَرةِ، ولا تَسعوا وراءَ العرّافين فتتنجَّسُوا بهم)[3]، وأيضاً: (وأزالَ يوشيَّا السَّحَرَةَ والعرّافِينَ والتّرافيم والأصنامَ وجميعَ الأرجاسِ الّتي كانت في أرضِ يهوذا وفي أورشليم)[4].

١١ ـ تحريمُ الوشمِ:

الوشمُ هو الرّسمُ على البدنِ برسم لا يمكن زوالُهُ فيما بعد، وقد نهى الإسلامُ عن الوشم، ولعنَ الرّسولُ ﷺ الواشِمةَ والمستَوشِمَةَ، فعن أبي جحيفة عن أبيه قالَ: (لعن رسولُ الله ﷺ الواشمةَ والمستوشمةَ وآكلَ الرِّبا ومُوكله)[5]، وفي العهد القديم تحريمٌ أيضاً للوشم، ففيها جاء: (لا تجعلوا خُدوشاً في أبدانِكم حِداداً على ميّتٍ، ولا كِتابةَ وشمٍ عليها، أنا الرّبُّ)[6].

١٢ ـ تحريمُ الدّمِ:

كما حرّمَ الله تعالى علينا المسلمين الدّمَ المسفوحَ، فقال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِىَ إِلَىَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٥﴾﴾ [الأنعام: ١٤٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾﴾ [البقرة: ١٧٣]، وهذا

---

(١) أخرجه أبو داود (٢/١٨٤).

(٢) العهد القديمُ من الكتاب المقدّس، سفر الخروج (١٧) ص٩٦.

(٣) المرجع السّابق، سفر اللاّوين (٣١ ـ ٣٢) ص١٤٧.

(٤) المرجع السّابق، سفر الملوك الثاني (٢٤ ـ ٢٥) ص٤٨٢.

(٥) أخرجه الإمام البخاري (٥/٢٠٤٥)، ومسلم (٣/١٦٧٨).

(٦) الكتاب المقدّس، سفر اللاّوين (٢٨ ـ ٢٩) ص١٤٧.

أيضاً ما حرَّمَه الله تعالى على بني إسرائيل كما في العهد القديم، ففيها جاءَ: (ولكن من كلِّ ما تشتهي نُفوسُكُم تذبَحون وتأكلون لحماً على حسبِ الخيراتِ الّتي باركَكُم فيها الرَّبُّ إلهكم. . .أمّا الدّمُ فلا تأكلوهُ، بل اسفِكوهُ على الأرضِ كالماءِ. . .)[1].

١٣ ـ النّهيُ عن القزعِ:

القزعُ هو حلاقةُ بعضِ شعرِ الرّأسِ وتركِ بعضِهِ، وهذا الأمرُ منهيٌّ عنه في دينِنا الإسلاميِّ، وما كنتُ أظنُّ أنّ التّوراةَ قد نهت عنه أيضاً لأنّه ليس من الذّنوبِ الّتي يترتّبُ على فعلِها ضررٌ بالآخرين، غير أنّي وجدتُ التّوراةَ تنهى عنها، ممّا يدلُّ على أنّ الجميعَ من مشكاةٍ واحدةٍ، إلاّ القرآن الكريمَ محفوظٌ بحفظِ الله تعالى، والتّوراةَ موكولٌ حفظها إلى أهلِها، فخانوا الأمانةَ، وغيّروا وبدّلوا، غير أنّ التّغيير والتّبديل لم يتطرّقْ لكلِّ أجزائِها، بل أبقى الله تعالى منها ما يدلُّ على صحّتِها، ففي حديثِ أنسِ بن مالكٍ ﷺ قال: (نهى رسولُ الله ﷺ عن القزعِ)[2]، وهذا ما جاءَ في العهد القديم أيضاً، ففيها جاء: (لا تأكُلوا لحماً بدمِهِ، لا تتشاءموا من شيءٍ ولا تتفاءلوا به، لا تحلِقوا رؤوسَكُم حول أطرافِها، ولا تَقصُّوا شيئاً من لِحاكم. . .)[3].

١٤ ـ الدّعوة للتّعايش السّلمي مع الآخر:

الدّعوةُ للتّعايشِ مع الآخر المخالفِ أمرٌ مُتّفقٌ عليه بين جميعِ الأديانِ السّماويّةِ، وذلك لأنّ مصدرها واحدٌ وهو الحقُّ تبارك وتعالى، وإذا خالفَت أمّةٌ هذه الوصايا، فهذا يعني أنّهم لا يريدون تطبيق شريعتهم الّتي التزموا بها وبِها أُلزِمُوا، لا أنّ هذا ليس من دينهم في شيءٍ، وفي ديننا

(١) الكتابُ المقدّس، سفر التّثنيةِ، (١٥ ـ ١٧) ص ٢٣٠، وانظر: ص ٢٣٤ من نفس المرجع.

(٢) أخرجه البخاري (٥/٢٢١٤)، ومسلم (٣/١٦٧٥).

(٣) الكتابُ المُقدّسُ، سفر اللاّوين، فرائضُ القداسةِ العادلة (٢٦ ـ ٢٧) ص ١٤٧.

الإسلاميّ الحنيف الكثير من الدّعوةِ لهذه المبادئِ الحسنةِ، وطبّقها كثيرٌ من المسلمين بالذّاتِ الأوائلِ منهم، المتمسّكين بدينهم الحقّ، غير أنّ الغريبَ أن نجد تلك الوصايا في التّوراةِ أيضاً، وكأنّ اليهودَ لا علم لهم بها، أو لا يريدون أن يعلموا بها كي لا يطبّقوها، وممّا جاءَ في العهد القديم: (والآنَ يا بني إسرائيلَ اسمعوا السُّنَنَ والأحكامَ الّتي أُعلِّمُكم إيّاها لتعملوا بها فتحيوا وتدخلوا وتمتلكوا الأرضَ الّتي يُعطيكم الرَّبُّ إلهُ آبائكم، لا تزيدوا كلمَةً على ما آمركم به ولا تُنقصُوا منه، واحفظوا وصايا الرّبِّ إلهكم الّتي أُوصيكم بها، رأت عُيُونُكُم ما فعلَ الرَّبُّ ببعلِ فَغورَ، فكلّ من اتّبعَ بعلَ فغور أزاله الرَّبُّ إلهكم من بينكم، وأمّا أنتم الّذين تمسَّكُوا بالرّبِّ إلهكم، فكلُّكم أحياءٌ اليومَ...)[1]، ثمّ أخذتِ التّوراةُ تتدفّقُ بذكر تلك الوصايا الحسنةِ الّتي جاءَ الإسلامُ الحنيفُ ينادي بها وبِأحسَنَ منها، ومن تلك الوصايا الّتي جاءت في العهد القديم: (أكرِم أباكَ وأمّك لِيَطولَ عُمْرُكَ في الأرضِ الّتي يُعطيك الرّبُّ إلهك، لا تقتل، لا تزنِ، لا تسرق، لا تشهد على غيرك شهادةَ زورٍ، لا تشتهِ امرأةَ غيرِكَ ولا عبدَه ولا جاريتَه ولا ثوره ولا حِماره ولا شيئاً ممّا له)[2]، وأيضاً: (ملعونٌ من يستخفُّ بأبيهِ وأُمّهِ، فيقولُ جميعُ الشّعبِ: آمين، ملعونٌ من يضمُّ تُخْمَ جارِهِ، فيقولُ جميعُ الشّعبِ: آمين، ملعونٌ من يُضلُّ أعمى عن الطّريقِ، فيقولُ جميعُ الشّعبِ: آمين، ملعونٌ من يُحرّفُ حُكمَ غريبٍ أو يتيم أو أرملةٍ، فيقولُ جميعُ الشّعبِ: آمين، ملعونٌ من يُضاجعُ زوجَةَ أبيه ويَنتهكُ حُرمةَ أبيه، فيقولُ جميعُ الشّعبِ: آمين، ملعونٌ من يُضاجعُ بهيمةً، فيقولُ جميعُ الشّعبِ: آمين، ملعونٌ من يُضاجع أختَهُ، ابنة أبيه أو ابنةَ أُمّهِ، فيقولُ جميعُ الشّعبِ: آمين، ملعونٌ من يُضاجعُ حماتَهُ، فيقولُ جميعُ الشّعبِ:

(١) الكتابُ المُقدّسُ: سفر التّثنية، موسى يشجّعهم على الطّاعةِ (١ ـ ١٥) ص ٢١٨، ٢١٩.

(٢) المرجع السّابق: الوصايا العشر من سفر الخروج، الوصايا العشر (١٠ ـ ١٨) ص ٩٣.

آمين، ملعونٌ من يأخذُ رَشوَةً ليقتلَ نفساً بريئةً، فيقولُ جميعُ الشّعبِ: آمين، ملعونٌ من لا يتْبَعُ كلماتِ هذه الشّريعةِ ويعملُ بها، فيقولُ جميعُ الشّعب: آمين)[1]، وفي مكانٍ آخر جاء في العهدِ القديم: (... احكمُوا بالعدلِ، وأنقذوا المظلومَ من يدِ الظّالم، ولا تضطهدوا الغريبَ واليتيمَ والأرملةَ، ولا تجوروا عليهم، ولا تَسفِكوا الدَّمَ البريءَ في هذا الموضعِ)[2]، وفيها أيضاً يوصي بني إسرائيل: (أنْ تفرِشَ للجائِعِ خبزكَ، وتُدخلَ المسكينَ الطّريدَ بيتَكَ، أن تَرَى العُريانَ فتكسوهُ، ولا تتهرّبَ من مساعدةِ قريبَكَ، بذلكَ ينبَثِقُ كالصُّبحِ نورُكَ، وتُزهِرُ عافيتَكَ سريعاً، تسيرُ في طريقِ الاستقامةِ... ها أنا إنْ أزلتَ من بيتِكَ الظّلمَ والإشارةَ بالإصبعِ والكلام الباطلِ، إذا سكبتَ لقمَتَكَ للجائعِ، ولبّيتَ حاجةَ البائِسينَ يُشرقُ في الظّلمةِ نورُكَ، وكالظّهرِ تكونُ لياليكَ، أهديكَ أنا الرَّبُّ كُلَّ حينٍ، وألبّي حاجتَكَ في الضّيقِ...)[3]، وقالت التّوراةُ موبّخةً بني إسرائيل لأنّهم يزعمون أنّهم يريدون السّلامَ، لكنّهم لا يفعلونه بل يكذبون في ادّعائِهِ، فقالت لهم التّوراةُ: (كيفَ تقولون: نحنُ حكماءُ وشريعةُ الرَّبِّ معنا؟ أما ترونَ أنَّ قَلَمَ الكَتَبَةِ الكذبِ حوَّلَها إلى الكذِبِ، خَزِيَ الحُكماءُ وخَابُوا وانخدَعُوا...ومن النّبيِّ فيهم إلى الكاهِنِ يمارسونَ الكذبَ، يُداوونَ جِراحَ بنتِ شعبِي باستخفافٍ، ويقولون: سلامٌ سلامٌ، هل يستحون إذا اقترفُوا رِجساً...)[4]، وأيضاً: (... ومن النّبيِّ إلى الكاهِنِ يُمارسونَ أعمالَ الزُّورِ، ويُداوونَ جِراحَ شعبي باستخفافٍ، يقولونَ: سلامٌ سلامٌ، وما من سلامٍ...)[5].

---

(١) الكتابُ المُقدّسُ: الخارجون على الشّريعةِ، سفر التّثنية (١٦ - ٢٦) ص ٢٤٧، ٢٤٨.
(٢) المرجع السّابق: كلمةُ الرَّبِّ إلى قصرِ ملكِ يهوذا، سفر أرميا (٣ - ٤) ص٩٧٠.
(٣) المرجع السّابق: السّبتُ والصّومُ، سفر: أشعياء (٧ - ١٢) ص ٩٢٣.
(٤) المرجع السّابق: الخطيئةُ والعِقاب، سِفر إرمياء (٨ - ١٢) ص ٩٥٠.
(٥) المرجع السّابق: حِصارُ أورشليم، سِفر إرمياء (١٣ - ١٥) ص ٩٤٦.

١٥ - ذمُّ المخالفين من بني إسرائيل لشريعةِ موسى عليه الصّلاةُ والسّلامُ:

لم يذمَّ القرآن الكريمُ، ولا السنّةُ النبويّةُ المطهّرةُ بني إسرائيل كما ذمّتهم التّوراةُ، فهم في العهد القديم أولادُ الأفاعي، وملاعين وقُساةَ القلوبِ...، وقد وردَ ذمَّ الكَفَرَةِ منهم في القرآن الكريم فقط، فبيّن تعالى أنّه ما لعنَ إلاّ الّذين كفروا منهم، وهذا اللّعنُ جاءَ على ألسنةِ أنبيائِهم، فقال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾﴾ [المائدة: ٧٨]، وبيّن تعالى أنّ أهلَ الكتابِ لو آمنوا لكانَ خيراً لهم ممّا هم فيه، فقال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عمران: ١١٠]، كما وضّح قرآننا الكريمُ أنّ أهل الكتابَ ليسوا كلُّهم سيِّئين، بل منهم الصّالح الّذي امتدحه الله تعالى، فقال تعالى: ﴿لَيْسُواْ سَوَآءً ۗ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [آل عمران: ١١٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾﴾ [آل عمران: ١٩٩]، وأوضح الله تعالى أنّه أنزلَ القرآنَ الكريمَ على محمّدٍ ﷺ ليبيّن لهم الّذي اختلفوا فيه، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾ [المائدة: ١٥]، وقال تعالى بأنّ أهلَ الكتابَ لو آمنوا بما أنزلَ الله تعالى لكانَ ذلك خيراً لهم في الدّنيا والآخرةِ، لأنّه قد جاءَ بما عندهم في العهد القديم، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُواْ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم ۚ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾﴾ [المائدة: ٦٥، ٦٦]،

وأمرنا الله تعالى أن لا نجادلهم إلاّ بالّتي هي أحسن، فقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [العنكبوت: ٤٦]، كما بيّن تعالى أنّه قد مسخ المُعانِدين لشريعةِ موسى عليه الصّلاةُ والسّلامُ، والّذين لم يحترموا السّبتَ، فجعلهم قردةً وخنازير، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ [البقرة: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ءَامِنُواْ بِمَا نَزَّلۡنَا مُصَدِّقٗا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبۡلِ أَن نَّطۡمِسَ وُجُوهٗا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدۡبَارِهَآ أَوۡ نَلۡعَنَهُمۡ كَمَا لَعَنَّآ أَصۡحَٰبَ ٱلسَّبۡتِۚ وَكَانَ أَمۡرُ ٱللَّهِ مَفۡعُولًا ﴿٤٧﴾﴾ [النساء: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ عَذَابٗا شَدِيدٗاۖ قَالُواْ مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦٓ أَنجَيۡنَا ٱلَّذِينَ يَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف: ١٦٣ ـ ١٦٦]، هذا ما قاله الله تعالى في القرآن الكريم، فماذا قالت التّوراةُ عنهم؟ حقيقة الأمر أنّ التّوراةَ قد وصفتهم بأبشعِ الأوصاف، فقد لعنتْهم ولعنت بهائِمَهم وثمارَهم وأرواحَهم، وشملتهم اللّعنةُ أجمعين، ووصَفَتهم بالحمقى وغيرها من الأوصافِ البشِعةِ، وهذا ما لم يقله القرآن الكريمُ، بل القرآن الكريمُ لعن المُخالفين منهم دون التّطرُّقِ لغيرِهم مما لا ذنب له، ففي العهدِ القديم جاء: (وإن لم تسمعوا كلامَ الرّبِّ إلهكُم وتَحفظُوا وصاياهُ وفرائِضَهُ الّتي أنا آمرُكم بها اليومَ وتعمَلُوا بها، تحِلُّ عليكم هذه اللّعناتُ كلُّها وتشمَلُكم، تكونونَ ملعونينَ في مُدُنِكم وفي حُقُولِكم، وتكونُ ملعونةً سِلالُكم ومَعَاجِنُكم، ويكونُ ملعوناً ثمرُ بطونِكم، وثَمَرُ أرضِكُم، ونتاجُ بقَرِكُم وغَنَمِكم، وتكُونونَ ملعونينَ أنتمْ في رَوَاحِكم ومَجيئِكُم، يُرسلُ الرّبُّ عليكمُ اللّعنةَ والذّعرَ والبلاءَ في جميعِ ما تتناولُهُ

أيدِكُم وتَعملُونَه، حتّى يُشتّتَكُم ويُبيدَكُم سريعاً لأجلِ سوءِ أعمالِكم الّتي ترتَكِبُوها، ويجعلُ البلاءَ يلازِمُكُم إلى أن يقتَلِعَكُم من الأرضِ الّتي أنتم داخلُون إليها لِتمتَلِكُوها...)[1]، وفيه أيضاً: (خَطِىءَ بنو إسرائيلَ وخالفُوا عهدِي وما أمرتُهم به... بل انهزموا من أمامِهم لأنَّهم صاروا ملعُونين من الرَّبِّ، فلن أكونَ معهم ثانيةً ...)[2]، وجاءَ وصفهم في العهد القديم بالشَّعبِ العنيدِ: (فاعلَم ذلك وتأكّد أنَّ الرَّبَّ إلهَكَ لم يُعْطِكَ هذه الأرضَ الصّالحةَ حتّى تَمتَلِكَها لأنّك صالحٌ، فأنت شعبٌ عنيدٌ)[3]، وفيه أيضاً أنّهم أصحابُ معاصيَ كثيرةٌ وقساةٌ أيضاً: (فَمَعَاصِيهُم تكاثَرت جداً، وكُفرُهُم دائماً في ازدِيادٍ...كيفَ أُسامِحُكِ يا أُورشليمُ وبنوكِ تركُونِي وحلفُوا بإلهٍ مَزعُوم، حينَ أشبَعتُهُم زَنُوا، وفي بيوتِ الزّواني صرَفُوا وقتَهُم، صارُوا أحصِنةً معلوفةً سائبةً، كلٌّ يَصْهَلُ على امرأةِ صاحِبِهِ، أفلا أُعاقِبُهُم على هذهِ المَعاصِي، يقولُ الرَّبُّ، وأنتقمُ من أُمَّةٍ كهذه الأمّةِ؟...لذلك قال لي الرَّبُّ الإلهُ القديرُ: بما أنّكُم تكلّمْتُم هذا الكَلامَ، فسأجعَلُ كَلِماتي في فَمِكَ ناراً، وهذا الشّعبُ حطباً فتأكُلُهم، وأَجلِبُ عليكُم أمّةً قويّةً عريقةً، أُمَّةً لا تَعرِفونَ لُغَتَها ولا تَفهَمُون ما تَتَكلَّمُ به، جعبةُ سِهامِها كَقَبْرٍ مَفتُوحٍ، وكُلُّ بَنِيها جبَابِرَةٌ...فأخبِروا بذلك في بَنِي يعقُوبَ، ونادوا به في بَنِي يهوذا، وقولُوا لهم: اسمَعُوا هذا الكَلامَ أيُّها الحَمقَى، أيُّها الشّعبُ الّذين فقدَوا الحِسَّ، الّذين لهم عُيُونٌ ولا يُبصِرون، وآذانٌ ولا يَسمعُون...)[4]، وفيه أيضاً جاءَ عنهم وفيهم أنّهُم أفاعِي، ولا يفرِّخُون إلاّ بيضَ الأفاعِيَ: (...لكنَ آثامَكم فَصَلتكُم عن إلهكُم، وخَطاياكُم حجبت وجهَهُ...تلطّخت أيدِيْكُم بالدَّمِ، وتَدنَّست أصابِعُكُم بالإثمِ، شِفاهُكُم تنطِقُ بالكَذِبِ، وألسِنَتُكُم تهذِي بالشَّرِّ،

---

(١) الكتاب المقدّس، سفر التّثنية (١٥ وما بعدها) ص ٢٤٨ ـ ٢٥١.
(٢) المرجع السّابق، سفر يشوع (١٠ ـ ١٣) ص ٢٦٨.
(٣) المرجع السّابق، سفر التّثنية (٦ ـ ٧) ص ٢٢٥.
(٤) المرجع السّابق، سفر إرميا (٦ ـ ٢٢) ص ٩٤٤.



لا أحدَ فِيكُم يدعو بالعدلِ، أو يُقاضِي غيرَهُ بالحَقّ، تتكلّمُون على الحجَجِ، وتَنطِقون بالكلام الباطِلِ، تَحبَلُونَ وتَتَمَخّضُونَ بالمَكرِ، وعِندَ الولادَةِ تَلِدُونَ الإثمَ، تَفْقِسُونَ بيضَ الأفاعي، وتَنسِجُون خُيُوطَ العنكبوتَ، الآكِلُ مِن بيضِكُم يموتُ، والّتي تَحْضُنُه تُخرجُ أفعى... أعمَالُكم أعمالُ الإثم، وأفعالُ أيدِيكُم ظلمٌ، أرجُلُكُم تُسارعُ إلى الشّرّ، وإلى سفكِ الدّماءِ البريئةِ، أفكَارُكُم أفكَارُ الإثم، وفي مسيرِكم خرابٌ وهدمٌ، طريقُ السّلامةِ لا تَعرفونَه، ولا في مسالِكِكُم عَدلٌ، جعلتُم سُبُلَكُم مُعوجّةً، وسَالِكُها لا يَرفَعُ السّلامَةَ... فارتدّ الحقُّ إلى الوراءِ، ووقَفَ العدلُ من بعيدٍ...)[1]، والنّقُولاتُ في هذا الموضوعِ كثيرةٌ جداً، وعتابُ العهد القديم لليهودِ ولعنِهِم ووصفِهم بأقذَعِ الأوصافِ أكثر من أن يُذكر في مثلِ هذه العُجالةِ، وما ذُكرَ يكفي، والله الهادي إلى سواءِ السّبيلِ.

١٦ ـ التّيهُ:

أخبرنا الله تعالى أنّ اليهودَ بعد أن أنقذَهم الله تعالى بموسى عليه الصّلاةُ والسّلامُ من فرعون وقومِهِ بمصر، وأخرجهم منها، وأغرق الله عدوَّهم فرعونَ ومن معهُ في البحرِ، أرسلهم إلى الأرضِ المُقدّسَةِ ليفتحوها، لكنّهم جبنوا وخارت قواهُم، ورفضوا القِتالَ مع موسى عليه السّلام، بل قالوا له بكلّ صفاقةٍ وقلّةِ حياءٍ: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤﴾ [المائدة: ٢٤]، فلما فعلوا ذلك حرّمَ الله على ذلك الجيلِ المعانِدِ النّصرَ ودخولَ الأرضِ المُقدّسةِ، وأضلّهُم في سيناءَ يتيهون أربعين سنةً حتّى فني ذلك الجيلُ، وجاءَ جيلٌ آخرُ غير الأوّل، جيلٌ تربّى في الصّحراءِ وعرفَ القوّةَ والرّجولةَ واستشعرَ المسؤوليّةَ، فنصره الله وفتحَ على يدهِ الأرضَ المقدّسةَ، قال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡۛ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَلَا

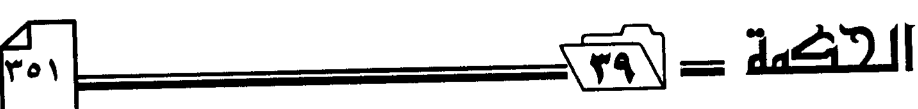
(١) الكتاب المقدّس، سفر إشعياء (١ ـ ٢١) ص ٩٢٣ ـ ٩٢٤.

تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [المائدة: ٢٥، ٢٦]، وهذا ما جاءَ في العهدِ القديم، لكن بشكلٍ أعنفَ ممّا جاءَ في القرآن الكريم، ففيه جاء: (وكلَّم الرَّبُّ موسى وهارون فقال: إلى متى أحتملُ هؤلاءِ القوم الأشرارَ الّذين يُلقُونَ اللّومَ عليَّ؟ سمعتُ لومَ بني إسرائيلَ لك فقلْ لهم: أنا الرّبُّ سأصنعُ بكم كما تكلّمتم على مسامعي، ففي هذه البريّةِ تسقُطُ جُثثُكم، والمَحصِيُّونَ مِنكم من ابنِ عشرينَ سنةً فصاعداً، ممّن ألقوا اللّومَ عليَّ لن يدخُلوا الأرضَ الّتي رفَعتُ يديْ مُقسِماً أن أُسكِنَهم فيها... وأمّا جُثثُكم أنتم فتسقطُ في البريّةِ، وبنوكُم يكونونَ رعاةً في البريَّةِ مُدَّةَ أربعين سنةً، ويتحمَّلُون عاقبةَ خيانتِكم إلى أن تفنَى آخرُ جُثَثِكُم في البريَّةِ، بعددِ الأيّام الّتي تَجسَّسْتُم الأرضَ فيها، وهي أربعونَ يوماً، تتحمّلون عاقبةَ آثامِكُم أربعين سنةً، كُلَّ يوم بسنةٍ، فتعرفونَ كيف تكونُ مُعاداتي لكم، أنا الرّبُّ تكلّمتُ، فأفعلُ ذلك بكلِّ هذه الجماعةِ الشّريرَةِ الّتي تُهدِّدُني، في هذه البريَّةِ ينقرضُون وهنا يَموتونَ)[1].

١٧ ـ الدّعوة للعنفِ مع الآخر المُخالف:

الدّعوةُ للعنفِ مع الآخر أمرٌ متّفقٌ عليها بين جميع الدّياناتِ السّماويّةِ والوضعيّةِ ما عدا الدِّينَ الإسلاميَّ الحنيف، اعترفَ بذلك من اعترف وأنكره من أنكره، بيدَ أنّ الكثير من أهل الدّياناتِ لا يعترفُ بذلك، وقد يُلقي باللائمةِ على الآخرِ، ويزعُمُ أنّه هو من يدعو للعنفِ والقتلِ والسّيطرةِ، وَيُبَرِّىءُ نفسَه حتّى من عنفِ الدِّفاعِ عن النّفسِ، وهذا عنفٌ فكريٌ لا يقلُّ عن العنفِ الجسديِّ، غير أنّ الواقعَ يرفضُ هذه الدّعاوى الباطلة، فلا يوجد تسامحٌ إلاّ في الخيالِ الّذي نادى به إفلاطون في مدينتِهِ الفاضلة، لكن الّذي يجبُ أن يعلمه الجميع أنّ الدّينَ الإسلاميَّ لا يقبلُ العنفَ وينهى عنه، ويرفضُهُ إلاّ مع الّذين يستعملونهُ ضِدَّ أتباعِهِ، أو ضِدَّ المُستضعفين في

(١) الكتابُ المُقدّسُ، سفر العدد، موسى يتشفع بالشّعب (٢٦ ـ ٣٦) ص ١٨٠ ـ ١٨١.



الأرض، كما قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤]، وقال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾﴾ [النساء: ٧٥]، فالإسلامُ يرفضُ العنفَ وإلزامَ الآخرِ بما عنده دون قناعةٍ منه، كما يرفضُ السّيطرةَ على الآخرين، لكنه في نفسِ الوقتِ لا يرضى الذّلَّ والهوانَ على أتباعهِ، فهوَ يأمرهم بالسّلم والسّلام، ويأمرهم بالدّفاع عن دينهم وأنفسهم ولو أدى ذلك الدّفاعُ إلى الموتِ، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾﴾ [البقرة: ٢٠٨]، وأمر الله تعالى رسوله ﷺ بالاستجابةِ للسّلم إن جنحَ لها العدوُّ، فقال تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال: ٦١]، وامتدح الله تعالى المؤمنين الصّادقين، ووصفهم بأنهم أبعد ما يكون عن العنفِ، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا۟ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُوا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [القصص: ٥٥]، وأمر تعالى بقِتالِ المعتَدين فقط، ونهى عن الاعتداءِ في القتلِ حتّى لو اعتدى علينا الآخرُ، فقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقال تعالى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا۟ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ ۖ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿١٢٦﴾﴾ [النحل: ١٢٦]، وحينما أمر تعالى بِقتالِ الكفّارِ حيثُ ثقفناهم، أمر بذلك تعالى من باب استردادِ الحقوقِ، فقال تعالى: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾﴾ [البقرة: ١٩١]، وبيّن سبحانه وتعالى أنّ بعضَ الأصنافِ من النّاسِ يريدون أن يفتنونا في ديننا، ويقاتِلونا على ذلك، وهؤلاءِ هم الّذين أمر الله تعالى بقتالِهم حيث ثقفناهم، فقال تعالى: ﴿وَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا۟ فَتَكُونُونَ سَوَآءً ۖ فَلَا تَتَّخِذُوا۟ مِنْهُمْ أَوْلِيَآءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟ فِى سَبِيلِ

ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡۖ وَلَا تَتَّخِذُواْ مِنۡهُمۡ وَلِيّٗا وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٌ أَوۡ جَآءُوكُمۡ حَصِرَتۡ صُدُورُهُمۡ أَن يُقَٰتِلُوكُمۡ أَوۡ يُقَٰتِلُواْ قَوۡمَهُمۡۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ فَلَقَٰتَلُوكُمۡۚ فَإِنِ ٱعۡتَزَلُوكُمۡ فَلَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سَبِيلٗا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأۡمَنُوكُمۡ وَيَأۡمَنُواْ قَوۡمَهُمۡ كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلۡفِتۡنَةِ أُرۡكِسُواْ فِيهَاۚ فَإِن لَّمۡ يَعۡتَزِلُوكُمۡ وَيُلۡقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ وَيَكُفُّوٓاْ أَيۡدِيَهُمۡ فَخُذُوهُمۡ وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡۚ وَأُوْلَٰٓئِكُمۡ جَعَلۡنَا لَكُمۡ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا مُّبِينٗا ﴿٩١﴾﴾ [النساء: ٨٩ ـ ٩١]، فأين هذا من الدّعوةِ للعنفِ مع الآخرين واستحلالِ دماءهم وأموالهم، وحرق الأخضر واليابس كما في كتبِ القومِ، فقد جاءَ في العهد القديم قولهم: (...الرَّبُّ عزَّتِي وتسبيحي، جاءَ فخلَّصنِي، أمدحُهُ فهو إلهي، إلهُ آبائِي تعالى، الرَّبُّ سيّدُ الحروبِ...)[1]، وفيه أيضاً: (...أنّ بني إسرائيلَ جاؤوا على طريقِ أتاريمَ، فقاتلهُم وسَبَى بعضَهم، فنذَرَ بنو إسرائيلَ نذراً للرَّبِّ وقالوا: إنْ أسلمتَ هؤلاءِ القومِ إلى أيدينا أبَحنا حُرْمَةَ مُدنِهم، فسمعَ الرَّبُّ صوتَ بني إسرائيلَ وأسلمَ الكنعانيين إلى أيديهم فحَلَّلوا إهلاكَهُم، هم ومُدُنَهُم، وسمَّوا ذلك الموضِعَ حُرْمَةَ)[2]، وفيه أيضاً: (اقتربوا واسمعوا أيّها الأمم! أصغوا إليَّ أيُّها الشّعوبُ! لتسمع الأرضُ وكُلُّ من فيها، العالمُ وكلُّ ما يُخرِجُهُ، الرَّبُّ غاضبٌ على الأممِ، ساخطٌ على كلِّ جيوشِهِم، فحلَّلَ سفكَ دمائِهِم، ودَفَعَهُم دفعاً إلى الذّبحِ، فتُطرحُ قتلاهُم في الشّوارِعِ، ويفوحُ النَّتَنُ من جِيفِهِم، تسيلُ الجبالُ من دِمائِهِم...)[3]، وزيادةً في تأصيلِ القتلِ والقِتالِ جاء اللَّعنُ على كُلِّ من منع سيفَهُ من القتلِ، فجاءَ في العهدِ القديم قولهم: (وَمَلْعُونٌ من يَمنَعُ سيفَهُ من الدَّمِ... اهبُطِي من غِناكِ إلى

(١) الكتاب المقدّس، العهد القديم، سفر الخروج: نشيد النّصر (٢ ـ ٣) ص ٨٦.

(٢) المرجع السّابق، العهد القديم، سفر العدد: الانتصارُ على الكنعانيين (٢ ـ ٤) ص ١٩٠.

(٣) المرجع السّابق، العهد القديم، سفر إشعياء: زوال أدومَ (١ ـ ٤) ص ٨٨٩.

الحِرمانِ، أَيَّتُها السّاكنةُ في دِيبُونَ، فَدمر موآبَ صعِدَ إليكِ وهَدَمَ جميعَ حصُونكِ. . .إنّ موآبَ دُمِّرت تدميراً)[1]، كما جاءَ في العهد القديم قولهم: (وكلَّمَ الرَّبُّ موسى فقال: انتقم لِبني إسرائيلَ من المِديانيين، وبعد ذلك تموتُ وتنضمُّ إلى آبائِك، فقال موسى للشَّعبِ: جنِّدوا مِنكم رِجالاً يَغزونَ مِديانَ. . . فقاتَلُوا مِديانَ كما أَمَرَ الرَّبُّ موسى، وقَتَلُوا كُلَّ ذكَرٍ، ومنهم مُلوكُ مِديانَ الخمسةُ. . .وسبى بَنُو إسرائيلَ نساءَ مِديانَ وأطفالَهُم وجميعَ بهائِمِهم ومواشِيهِم، وغَنِمُوا ممتلكاتِهم، وأَحرقوا بالنّارِ جميعَ مُدنِهِم بمساكِنِها وقُصورِها. . .فغضِبَ موسى على رؤساءِ قادةِ الجيشِ. . .وقالَ لهم موسى: لماذا أبقيتُم الإناثَ كُلَّهُنَّ على قيدِ الحياةِ؟. . .فالآنَ اقْتُلُوا كُلَّ ذكرٍ من الأطفالِ، وكُلَّ امرأَةٍ ضاجعت رجلاً، وأمّا الإناثُ من الأطفالِ والنّساءِ اللّواتي لم يُضاجعنَ رجلاً فاستبقوهنّ لكم. . .)[2]، وجاء فيه أيضاً: (إذا أفنى الرَّبُّ إلهكُم من أمامكم الأممَ الّذين أنتم ذاهبون لِترثوهم. . .فاضرِبُوا تلك المدينةِ وحَلِّلُوا قتلَ جميعِ ما فيها حتّى بهائِمِها بِحدِّ السَّيفِ، واجمعوا جميعَ أمتِعَتِها إلى وسطِ ساحتِها، واحرِقُوا بالنّارِ تلكَ المدينَةِ بِكلِّ ما فيها، قُرباناً للرَّبِّ إلهكُم، فتصيرُ رُكاماً إلى الأبدِ، لا تُبنى من بَعدُ)[3]، وجاءَ أيضاً قولُهُم: (. . .فنفخَ الكهنةُ في الأبواقِ فهتفَ الشّعبُ عندَ سماع صوتِها هتافاً شديداً فسقطَ السّورُ في مكانِهِ، فاقتَحَمَ الشّعبُ المدينةَ لا يلوِي أحدُهُم على شيءٍ واستولَوا عليها، وقتلُوا بحدِّ السّيفِ إكراماً للرَّبِّ جميعَ ما في المدينةِ من رِجالٍ ونساءٍ وأطفالٍ وشيوخٍ، حتّى البقرَ والغنَمَ والحميرَ. . .وأحرقُوا المدينةَ وجميعَ ما فيها بالنَّارِ. . .)[4]، ليس هذا فقط

(١) الكتاب المقدّس، العهد القديم، سفر إرميا: حكمُ الرَّبُّ على موآب (١٨ ـ ٢٠) ص ١٠٠٩.

(٢) المرجع السّابق، العهد القديم، سفر العدد: مُحاربة مِديان (١ ـ ٢٠) ص ٢٠٤.

(٣) المرجع السّابق، العهد القديم، سفر التّثنِيَةِ: التحذير من عبادة الأصنام ص ١٣١ ـ ٢٣٢.

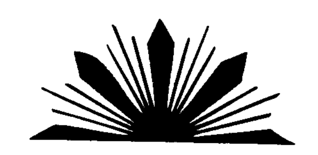
(٤) المرجع السّابق، العهد القديم، سفر يشوع: سقوط أريحا ص ٢٧٦.

ما في العهدِ القديم من تأصيلِ العنفِ للقومِ، بل هناك الآف التقولاتِ الّتي تؤصّلُ استخدامَ العَنفِ ضدَّ كلِّ ما يعيشُ على الأرضِ من إنسانٍ وحيوانٍ ونباتٍ، فهل يمكنُ أن يقارن هذا بدعوةِ الإسلام باجتنابِ الشّيوخِ والنّساءِ والأطفالِ والأشجارِ في حالةِ الحربِ!!؟ هل يمكنُ أن يقارنُ هذا بما في الإسلام بعدمِ الاعتداءِ في الحربِ ولو على من يعتدي علينا، إلاّ أن يكون المُعتدي عنيداً لا يمكن وقفه إلاّ بمجازاتِهِ بالمثلِ؟!! أين هذا من قول الصّديقِ رضي الله عنه للجيوش الإسلامية الزاحفة: (لا تمثلوا ولا تقتلوا طفلاً صغيراً، ولا شيخاً كبيراً، ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرةً مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بَعِيْراً إلاّ لمأكل، وسوف تمرون بأقوام قد فرّغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهُم وما فرغوا أنفسهم له)[1]، أين هذا من نهيه ﷺ قتلَ النّساءِ[2] والرّهبانِ والمعتزلين للحربِ!!!؟ ومع هذا فليس هذا ما بيننا وبين اليهودِ من نقاطِ التقاءِ، بل هناك الكثيرَ الكثير من نقاط الالتقاء بيننا وبين القوم، لكن لا يعني هذا أنّ القومَ لم يُحرِّفوا ويُبدِّلوا فيما عندهم، ولكنّه يعني أنّ التّحريف والتّبديل لم يطلْ كلَّ أجزاءَ التّوراةِ، بدليل التّوافقِ الّذي ذكرناه وغيرِهِ ممّا لم نذكره، لعلّ هذا يكونُ سبباً في الحوارِ بيننا وبينهم على كلمةٍ سواءٍ، فبيننا وبين القومِ ما يمكنُ أن نلتقي عليه دون أن يتنازلَ أحدٌ منا عن ثوابِتِه أو حتّى بعضِها، فنعبدُ الله تعالى ولا نشرك به شيئاً، ونصدّقُ رسلَه عليهم الصّلاةُ والسّلامُ، كما قال ربُّنا تبارك وتعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوْرَىٰةُ وَٱلْإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعْدِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ

(١) رواه التّرمذي (٤/٣٦٢) وأحمد في مسنده (٢/١٦٢).
(٢) انظر: صحيح البخاري (٣/١٠٩٨).



وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوۡلَى ٱلنَّاسِ بِإِبۡرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۗ وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٤ ـ ٦٨]، هذا ما نأمله ونتمنّاه، استجابةً لأمرِ ربِّنا جلَّ وعلا، وحرصاً على تحقيقِ مصالِحنا، في أن نتعايش معاً في سلامٍ حتّى يحكمَ الله بيننا وهو خيرُ الحاكمين.



الخاتمة

هذه بعضُ المسائلِ المتّفقِ عليها بيننا وبين اليهودِ، وليست جميع المسائلِ، غير أنّي اقتصرتُ على هذه لأهمّيتها على غيرها، وفيها دلالةٌ أكيدةٌ على أنّ التّوراةَ الّتي بين يدي القومِ ليست مُحرّفةً كلّها، بل منها ما هو محرّفٌ مكذوبٌ، ومنها ما هو باقٍ كما أنزله الله تعالى، والمحرّف منها يعرفُ بما يناقض دينَنَا الحنيف، كادّعائهم أنّهم أبناءُ الله وأحباؤه، وادّعائهم أنّهم الشعب المختار، وزعمهم أنّ الله تعالى قد أباح لهم جميع شعوب الأرضِ يحكمون فيهم بما يشاؤون، وزعمهم أنّ الزّاني المُحصن لا يقتل، ولكن يركب على حمار ويُطاف به في الطّرقاتِ... ومنها ما هو على ما أنزله الله تعالى، كقولهم بالتّوحيد وأنّ الله تعالى واحدٌ لا يعبد إلاّ هو، ولا إله غيره، وكما ورد في التّوراةِ من أمورٍ كثيرةٍ جاء ديننا الحنيف بتحريمها، كتحريم الميتةِ والدّم والخنزير والرّشوةِ والزّنا واللّواطِ... وهذه الأمور بقيت على ما أنزلها الله تعالى لم تصلها أيدي النّساخِ المُحرّفين على حرصهم، غير أنّ الّذي يجب أن يعلم هو أنّ القومَ قد تركوا جميع الوصايا الحسنةِ الّتي في التّوراةِ، وأخذوا بالمحرّفِ منها، فاستباحوا الدّماءَ، والظّلم، وتعاملوا بالرّبا، ونشروا جميع الرّذائلِ في أنفسهم وبين النّاس، وأوقدوا الحروبَ بين الشّعوبِ والأمم والدّولِ، وأقاموا دولتهم العنصريّةَ إسرائيل على العنفِ والقتل والظّلم، ولكن هذا لا يعني أنّا لا نُحاورهم ونجادلهم بالّتي هي أحسن، ونلزمهم بما في كتابهم المقدّس لديهم وهو التّوراة على التّحريف الّذي نعتقده فيه، لكننا نحاورهم بما لم يُحرف معذرةً إلى ربّهم ولعلّهم يرجعون، أو على الأقلّ يرتدعون فيعيشوا معنا في سلامٍ منشودٍ مطلوبٍ لجميعِ العقلاء من جميع أهل

الدّياناتِ السماويّةِ والوضعيّةِ، هذا مطلبٌ، وأمنيةٌ، وليس ذلك على الله بعزيز، والله غالبٌ على أمره ولكن أكثر النّاسِ لا يعلمون.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على خير خلقه أجمعين، وعلى آله وصحبه الطّيبين والطّاهرين...

